تقنيات الحجاج في كتاب (حوار مع صديقي الملحد)[١]

د. محمود حمزة محمد*

ملخص

يهدف البحث إلى دراسة تقنيات الحجاج اللغوي والبلاغي في كتاب (حوار مع صديقي الملحد)، من تأليف الدكتور مصطفى محمود، هذا الكتاب الذي يناقش عددًا من القضايا العقدية والفلسفية: كوجود الله، وحرية الإنسان في الاختيار، وما إلى ذلك من الأمور التي تعتبر من الأمور المختلف فيها، والباعث على ذلك وجود شك في مدى صحتها عند بعض الناس. إذ يعد الحِجاج من الوظائف الرئيسة للنص اللغوي التداولي، فهو يمثل عددًا من التقنيات الخطابية التفاعلية التي يحاول المتكلم من خلالها استمالة المستمع وإقناعه بما يعرض عليه، فأينما وجد خطاب فثمة استراتيجية معينة يقصد إليها المتكلم لغويًا وعقليًا، إما لإقناع نفسه، أو لإقناع غيره. ولتحقيق أهداف البحث تم التركيز على آليات الحجاج اللغوي والبلاغي كحجاج الاستعارة، والاستفهام، والشرط، والنفي، والوصف، التكرار، والحجاج بالتعريف، وحجاج السلطة، وحجاج التمثيل، وحجاج التناص، والروابط والعوامل الحجاجية التي استخدمها الكاتب للوصول إلى إلزام صديقه الملحد الحجةَ، وإقناع المتلقين.

توطئة

يعدُّ الحجاج من الوظائف الرئيسة للنص اللغوي التداولي، فهو يمثل عددًا من التقنيات الخطابية التفاعلية التي يحاول المتكلم من خلالها استمالة المستمع وإقناعه بما يعرض عليه، فأينما وجد خطاب فثمة استراتيجية معينة يقصد إليها المتكلم لغويًا وعقليًا، إما لإقناع نفسه، أو لإقناع غيره.

١ - الكتاب موضوع الدراسة من تأليف الدكتور مصطفى محمود

* د. محمود حمزة محمد :مدرس بقسم اللغة العربية- كلية الألسن- جامعة الأقصر

وإن دراسة الحجاج في لغته الطبيعية ضمن خطاب وظيفي كلي، وتوصيف البنية الحجاجية للنص عبر رصد تقنيات الحجاج اللغوية، والبلاغية، والمنطقية، وتصنيفها، وتحليل صورها المختلفة لغويًا، وبلاغيًا، وتداوليًا، وجدليًا، انطلاقًا من معطيات العينات النصية المختارة، ليعتبران من أهم أهداف هذه الدراسة، التي تأخذ مادتها من كتاب (حوار مع صديقي الملحد) للدكتور مصطفى محمود، هذا الكتاب الذي يناقش عددًا من القضايا العقدية، والفلسفية، كوجود الله، وحرية الإنسان في الاختيار، وما إلى ذلك من الأمور التي تعتبر من الأمور المختلف فيها، والباعث على ذلك وجود شك في مدى صحتها عند بعض الناس، ومن ثَمَّ فإن هذا الشك هو الباعث الأول للمحاجة، التي تفترض وجود فكرة ما ينبغي التأكد من صحتها والتشديد عليها، والذي بدونه تبقى هذه الفكرة غامضة وغير واضحة بما فيه الكفاية، وبالتالي لا يمكن طرحها ولا الاقتناع بها من قِبَل المتلقين. وإن الخلاف ليشتد وتكون الأمور أكثر تعقيدًا إذا تم تناول مسائل في مجال العقائد، وهذا ما حدث في النص المدروس، فالنص لا يكون حجاجيًا إلا حينما يحمل بذرة خلاف تتضمن قصدًا إقناعيًا يكون هدفه تحويل أو تعديل وجهة تفكير المتلقي، أو حمله على الموافقة على أفكار معينة داخل مسار تواصلي (الدهري، ٢٠١١م، صفحة ١٤٣). **ولتحقيق تلك الأهداف اعتمد البحث المنهج الوصفي:** الذي يقوم على دراسة الظاهرة، وبيان خصائصها. **ومن الأسباب الدافعة لاتخاذ هذا الكتاب مادة للبحث** أنه يتضمن نوعًا من أنواع الجدل المرادف للحوار والمناقشة، والذي يمكن وصفه كالتالي:

يقوم الحوار على وجود طرفين يتبادلان الأقوال على وجهي الادعاء والاعتراض في كل مسألة من مسائل الكتاب، فيبدأ صديق الكاتب بطرح ادعائه ودعمه بالحجج التي تؤكد صحته، ليقوم الكاتب بتفنيد هذا الادعاء من خلال طرح الحجج المضادة بمختلف أنواعها والتي تدعم أطروحته وتبطل ادعاء خصمه، وهكذا يسير الحوار في الاتجاه الذي ينعقد على إبراز عدم نجاعة حجج الخصم واستخدامها ضده، من خلال كشف المغالطات المنطقية، وأخطاء التفكير، والتناقضات، التي تخل بقيمة الفكرة، فيحاول الكاتب إظهار أخطاء صديقه وفضحه والتشنيع عليه وعلى منهجه الذي يتبعه، ليعلن تفوقه، بقصد إحداث نوع من التأثير في طرف ثالث بغية إقناعه، وهو المتلقي الذي يتابع الحوار ويشهد وقائعه، وهو الهدف الأساس من الحوار، وإن بدا الحوار بين الكاتب وصديقه.

ومن ثم فإن البحث يجيب عن عدة أسئلة منها:

- ما التقنيات الحجاجية اللغوية والبلاغية التي وظفها الكاتب لتأسيس الإقناع؟
- ما أنواع الروابط والعوامل الحجاجية المتضمنة في مادة هذا الكتاب؟
- كيف تم توظيف هذه التقنيات الحجاجية لإفحام أصحاب الأفكار الإلحادية وإقناع المتلقين؟

وإن كان لكل بحث أن يعتمد على سند يعينه في الوصول إلى أهدافه، فإن البحث اعتمد على النظريات الحجاجية المعاصرة، وعلى وجه التحديد

(نظرية الحجاج في اللغة) لأوزفالد ديكرو وأنسكومبر، و(نظرية الحجاج البلاغي) لبيرلمان وألبيريخيت تيتكا، بالإضافة إلى بعض الأدوات والآليات اللغوية والبلاغية والمنطقية التي يوظفها الكاتب في النص للتأثير على المتلقي.

وبما أن الإطار النظري الذي اعتمد عليه البحث يعتمد على نظريتي الحجاج في اللغة والبلاغة، لتحقيق أهداف الدراسة، كان لابد من تمهيد السبيل إلى التطبيق بمقدمة نظرية، تلقي الضوء على المفاهيم والأسس النظرية ذات الصلة بما يتضمنه الجزء التطبيقي.

في ظل هذا العصر الذي يقوم على الحوار والتفاوض ظهر ما يسمى بمصطلح (الحجاج)، وقد اهتم العديد من الباحثين بهذا الموضوع اهتمامًا بالغًا، في شتى المجالات العلمية والمعرفية والثقافية، ومن ثمَّ تعددت أنماط الحجاج، فمنها: (الحجاج البلاغي) أو ما يسمى بالبلاغة الجديدة، وهذا النمط يرتبط بالفيلسوف والبلاغي البلجيكي (بيرلمان)، وهناك (الحجاج المنطقي)، الذي ينسب لعدد من علماء المنطق، ومن أشهرهم عالم المنطق والرياضيات السويسري (جان بليز غريز)، و(الحجاج الجدلي التداولي)، الذي يرتبط بالمدرسة الهولندية ورائدها (فان إيميرين)، وهناك ما يسمى بـ(الحجاج اللغوي)، الذي أسس له العالم اللغوي الفرنسي (إزفالد ديكرو) (العزاوي أ.، ٢٠١٧، صفحة ٣٩٩)، هذه النظرية التي تهتم بالوسائل اللغوية التي يستخدمها المتكلم لمحاولة إقناع مستمعه، فكل متكلم يهدف من خلال كلامه إلى التأثير في غيره من المستمعين، كما تهتم هذه النظرية بتبيين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظائف حجاجية، ومعنى أن لها وظيفة حجاجية، يعني أن التسلسلات الخطابية محددة

بواسطة المواد اللغوية، التي تم توظيفها وتشغيلها، إضافة إلى الوقائع المعبر عنها في الخطاب. وتعد نظرية الحجاج في اللغة وليدة لنظرية أفعال الكلام، التي أسسها (أوستين وسورال)، فقد طور (ديكرو) في أفكار هذه النظرية وأضاف عليها فعلي (الاقتضاء والحجاج)، كما قام بإعادة تعريف بعض المفاهيم الخاصة بالنظرية مثل: مفهوم (الإنجاز)، مع محافظته على فكرة الطابع العرفي للغة، الذي يعرفه بأنه فعل لساني بالأساس، له القدرة على إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، بمعنى أنها تستلزم تحويلاً قانونيًا، أي خلق حقوق وواجبات، أو بوصفها تقدم قولاً ما ينطوي على سلطة محددة، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بفرضية تقوم على الإقرار بأن معنى قول ما هو وصف لوضعية تلفظه، لهذا تعد علاقة الحقوق والواجبات مندرجة في المجال الخطابي الذي يوجد فيه كل من المتكلم والمخاطب. (العزاوي أ.، خريف ٢٠١٧، صفحة ٤١٠)

وموضوع الحجاج وغايته دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالسامع إلى الاقتناع بما يطرح عليه من أفكار، أو تزيد من شدة اقتناعه بها، بشكل يجعله قادرًا على إنجاز هذه الأفكار، أو الإمساك عنها، أو على أقل تقدير، هو ما يجعل المستمع مهيأ للعمل في الوقت المناسب. (صولة، ٢٠١١، صفحة ١٣) ويختلف الاقتناع عن الإقناع، فالاقتناع يبنى على حرية الاختيار المبني على أساس عقلي عند المستمع، فهو يقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة، وهو من أهم شروط الحجاج، أما الإقناع فهو فعل موجه من المتكلم إلى السامع. (صولة، ٢٠١١، صفحة ١٥)

ويعد (ديكرو)، و(أنسكومبر)، من العلماء الذين أضافوا جديدًا في دراسة الحجاج، وذلك من خلال تعريفهما للحجاج، فيعرفانه، بأن المتكلم حينما يحاجج إنما يقدم قولاً أولاً (ق١)، أو مجموعة من الأقوال يكون منها الانطلاق، وتكون بمثابة المعطى أو الحجة التي تقود إلى الاقتناع والإذعان والتسليم بقول آخر (ق٢)، والذي يمثل النتيجة، وعندهما تقدم (ق١) وحده لا يكفي أن يكون من الحجج التي تضمن الإذعان والتسليم بـ(ق٢)، وإنما البنية اللغوية له يجب أن تنهض بشروط من شأنها أن تؤهله لكي يكون حجة تقود إلى (ق٢)، فالحجاج باختصار هو الانتقال من الحجة إلى النتيجة، وهذا الانتقال هو بؤرة التعريف للحجاج، وهو ما عبر عنه الباحثان بفعل التوجيه، والذي يعني بالنسبة لهما، الانزياح، أو الانتقال، أو الحركة من وضع أول معلوم إلى وضع ثان قد يكون معلومًا صريحًا أو غير صريح يأتي متضمنًا في الكلام، وهو ما يسمى بالنتيجة التي يروم المتكلم إقناع المستمع بها. (الناجح، ٢٠١١، صفحة ٢٧)

والحجاج اللغوي ما هو إلا استدلال طبيعي غير برهاني، يقوم على معرفة العالم، وهو استنتاج احتمالي، الحقيقة فيه نسبية مرتبطة بالمقام، يأتي من خلال الخطاب الطبيعي، وينتمي إلى نظام (الخطاب)، الذي يتأسس على بنية الأقوال اللغوية، وتسلسلها داخل الخطاب، حجج تترتب عليها نتائج، مثل قولك: (محمد مجتهد، إذن سينجح)، وفي كل خطاب حجاجي نجده يتكون من محاور، وهي: (الحجة والنتيجة): والحجة هي العنصر الدلالي الذي يخدم عنصرًا دلاليًا آخر وهو النتيجة، وقد تم التوسع في مفهوم الحجة ليصبح كل عنصر تصوري/مفهومي؛ ليشمل الخطابات البصرية والصور الإشارية والسينمائية

وغيرها. و(الرابطة الحجاجية): هي العامل الذي يربط بين حجة ونتيجة، أو بين علاقتين حجاجيتين، مثل: (بل، لكن، حتى، إذن، لأن،...). و(السلم الحجاجي): وهو العلاقة الترتيبية للحجج المنتمية إلى فئة حجاجية معينة على حسب قوتها الحجاجية. و(العامل الحجاجي): وهو ما يقوم بتقليص الإمكانات الحجاجية التي للقول، مثل: (ربما، تقريبًا، كاد، قليلا، أدوات الحصر والقصر...). و(المبدأ الحجاجي): وهو الضامن الذي يضمن سلامة العملية الحجاجية، ويضمن سلامة الربط بين الحجة والنتيجة. وهو في المثال السابق (الاجتهاد يولد النجاح)، فالاجتهاد يستدعي النجاح، فقول المتكلم: (محمد مجتهد) هو حجة ودليل، يقدمه لصالح عنصر دلالي آخر وهو النتيجة التي مفادها (سينجح)، تربط بينها رابطة حجاجية هي: (إذن)، وكل من الأطراف قد تأتي على شكل قول، أو فِقرة، أو نص، أو قد يكون مشهدًا طبيعيًا، وربما يكون سلوكًا غير لفظي، كما أنها قد تأتي ظاهرة أو مضمرة في الخطاب بحسب السياق. (العزاوي أ.، ٢٠١٧، صفحة ٤٠١) وهكذا فإن (ديكرو) من خلال ما يطرح من أفكار لا يجعل استعمال الحجج عنصرًا يضاف إلى اللغة من خارجها بل يسري فيها سريانًا طبيعيًا.

والحجاج يختلف عن البرهنة التي تقوم على الاستدلال المنطقي ذي النتائج الحتمية الضرورية، ففي الاستدلال البرهاني تستنبط من المقدمات نتائج تفضي إليها تلك المقدمات ضرورة بدون أي لبس، كما يتأسس على القضايا المتضمنة فيه، وهو ينتمي إلى (المنطق)، مثل قولك: (كل الطلاب ناجحون) (محمد طالب)، إذن (محمد ناجح)، وهذا الاستدلال الذي يبنى على القياس

الشرطي أو الحملي، لا يعتبر خطابًا بالمعنى القوي الذي يعطيه (ديكرو) لمصطلح (الحجاج). وفعل الحجاج من الأفعال التي تفرض على المتكلم نمطًا معينًا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، كما أن القيمة الحجاجية في أي خطاب، ما هي إلا نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب في طريقه إلى التنامي والاستمرار، والحجاج أيضًا هو تقديم الحجج والأدلة التي تؤدي إلى نتائج معينة، تأتي هذه الحجج في شكل تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، كما يظهر الحجاج في الأقوال التي يتم إنجازها بشكل متوال، يأتي بعضها على شكل حجج لغوية، ويأتي الآخر على شكل النتائج التي تستنتج منها. (العزاوي أ.، ٢٠٠٦، صفحة ١٥)

هكذا يفرق (ديكرو) بين (الاستدلال العقلي)، الذي يحيل كل قضية من قضاياه إلى حالة افتراضية أو واقعية من حالات الواقع، وبالتالي فهو لا يشكل خطابًا، وبين (الخطاب) الذي ينطوي على خاصية حجاجية تتجلى في العلاقات بين المنطوقات والأقوال، ويرى أن كلا منهما ينتمي إلى نظام يختلف عن الآخر تمامًا، فالأول ينتمي إلى ما يسمى بالمنطق، أما الثاني فينتمي إلى ما يسمى بالخطاب. (أعراب، ٢٠٠١، صفحة ١٠٥) ومن الفروق بين (البرهنة) و(الحجاج) أن الأولى تقتصر على حجة أو دليل واحد ولا يشترط فيها تعدد الأدلة؛ والسبب في ذلك أن مبادئها أولية صادقة بالضرورة، كما أنها لا تعتمد إلا على المقدمات الحقة لإنتاج الحق، وهدفها تعليم الآخر وإيصاله إلى الحق؛ لذلك فهي تبعث على التسليم، والنتيجة فيها حاسمة، وعلى مستوى المتحاورين فإن العلاقة بينهما هي علاقة بين معلم ومتعلم. أما الحجاج فلا يقتصر فيه على

دليل واحد؛ لطبيعته الخلافية؛ ولأن قضاياه ظنية تحتمل الصواب والخطأ، واحتمالية الخطأ هذه، هي مبعث الحجاج والجدل، وهدفه اختيار الآراء ومناقشتها واختبارها وتمييز الحق من الباطل، وإقناع الخصم أو إفحامه، من خلال استعراض الحجج والحجج المضادة استعراضًا يمكن من الحوار والنقاش العقلي مع الآخرين، والعلاقة فيه بين المتحاورين علاقة متناظرين متقاربين في الكفاءة والمنزلة، ويكون الحوار بينهما على شكل سؤال وجواب، وهو من هذه الجهة مشروط بمخاطبة الآخر ومناقشته إلى أن يتهيأ الإقناع. (البهلول، ٢٠١٣، صفحة ٦٤)

من الضروي أيضًا أن نفرق بين المعنى الحجاجي، والمعنى الإخباري أو الإعلامي، فقد تعاقبت أعمال اللغويين التي تدرس المعنى وتحاول تحديد طبيعته، ومجالاته، وأنماطه، وخصائصه، فتوصلوا إلى عدد من الأنماط المختلفة للمعنى الظاهر منها: المعنى البنيوي، والحرفي، والمعجمي، والإعلامي الإخباري، كما توصلوا لأنماط للمعنى الضمني، منها: الاستلزام الحواري، والاقتضاء، والتضمين، والمعنى الحجاجي، وفي الوقت الذي كان فيه عدد من اللغويين قديمًا وحديثًا يعتبرون وظيفة اللغة الأساسية هي الإخبار والوصف، وأن باقي المعاني شيء ثانوي، وذلك وفقًا لما رسَّخ له سوسير، من أن وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل، الذي يراه عبارة عن عملية يجري فيها نقل المعلومات والأخبار بين مرسل ومستقبل، بما يفيد بأن فعل الإخبار هو الفعل الأساسي في اللغة. (رشيد، ٢٠٠٥، صفحة ٢١٤) كان هناك فريق آخر يسعى للتقليل من أهمية المكون الإخباري للمعنى، وأن جزءًا يسيرًا من أقوال وجمل اللغات

الطبيعية له طبيعة وصفية تمثيلية، ومن هذا الفريق البلاغة العربية القديمة (الخبر والإنشاء)، واللسانيات الديكارتية، ونظرية الأفعال اللغوية، وأصحاب النظرية الحجاجية، هذه النظرية التي تعتبر المعنى الإخباري ثانويًا بالنسبة إلى المكونات الدلالية غير الإعلامية أو غير الإخبارية، كما تعتبر المعنى الإخباري تابعًا للمكون الحجاجي الدلالي، وللتوضيح نسوق مثالين:

الأول: قرأ زيد بعض كتب ابن رشد. الثاني: لم يقرأ عمرو كل كتب ابن رشد.

من المثالين يظهر بداهة لمن يريد أن يأخذ معلومة عن ابن رشد، أنه سيذهب لعمرو وليس لزيد، انطلاقًا من المحتوى الإخباري للأقوال، وهذا من حيث الشكل، ضد ما تدعو إليه النظرية الحجاجية، أما إذا تمت دراسة المثالين حجاجيًا، فسنجد أن المثال الأول موجه نحو نتيجة إيجابية (زيد يعرف ابن رشد)، والثاني موجه نحو نتيجة سلبية (زيد لا يعرف ابن رشد جيدًا)، كما أنه يحتمل أن (عَمرًا لم يقرأ أي كتاب من كتب ابن رشد)، كما يحتمل أن (عمرًا قرأ بعض كتب ابن رشد)، والمثال بذلك لا يقدم دليلا مؤكدًا على أن عمرو قارئ لكتب ابن رشد؛ لذلك فالمستمع الذكي سيختار زيدًا ليأخذ منه المعلومة؛ لأنه على الأقل قرأ كتابين من كتب ابن رشد، أو ربما قرأ كثيرًا منها، ورغم ذلك فإن (ديكرو) لا يوافق على هذا الجواب؛ لأنه يفصل بين معنى القول والقيمة الدلالية له، هذا الأمر الذي ترفضه النظرية الحجاجية، بل تؤكد على أن معنى القول لا يمكن وصفه بتاتًا في معزل عن المقام والوظيفة القولية. وخلاصة القول: إن المتكلم عندما يتلفظ بقول إنما يقدمه حجة لصالح نتيجة ممكنة، وهذا يبين أن

المكون الحجاجي مكون أساسي وأنه هو الذي يحكم اشتغال الأقوال داخل الخطاب. (العزاوي أ.، ٢٠٠٦، صفحة ٣٧ وما بعدها)

من المهم أيضًا قبل الدخول في الجزء التطبيقي، أن نلفت النظر إلى أن الجديد عند (ديكرو) هو أن تلك الوظيفة الحجاجية متضَمَّنة داخل بنية الجملة ذاتها، بمعنى أن القيمة الحجاجية لقول ما، إنما هي مجموع ما تحتوي عليه هذه الجملة من مورفيمات وصيغ وتعابير تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول، وتوجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك، إضافة لما تقدمه من محتوى إخباري، ومن خلال هذه المورفيمات والصيغ والتعابير نستطيع أن نميز بين الحجج من حيث القوة والضعف، وبالتالي تراتبيتها في السلم الحجاجي وذلك على مستوى الجملة الواحدة، أما إذا تعدى الأمر الجملة إلى النص كمتوالية نهائية أو لانهائية من الجمل والفقرات، فإن الأمر يختلف، وفي هذه الحالة لا يكون للسلم الحجاجي علاقة بالأمر، بل بـ(التحليل المنطقي) للنص وفي هذا التحليل تتواجه الطريقة الحجاجية الكامنة في النص كمونًا ذاتيًا مع طريقة من طرق الاستدلال العقلي التي صاغها المناطقة. (أعراب، ٢٠٠١، صفحة ١٠٥)، وفي ما يلي عرض لتقنيات الحجاج التي استخدمها الكاتب:

١- حجاج الاستعارة:

تعد الاستعارة بمثابة الأجهزة البلاغية التي تسعى إلى تحقيق أهداف استراتيجية في التعاملات الحجاجية، كما يعتقد الكثير من البلاغيين أنها فعالة بشكل خاص، وفي بعض الأحيان تكون أكثر الصور موضوعية إذا كان الأمر

يتعلق بإقناع الجمهور. (ريهس، خريف ٢٠١٧، صفحة ٤٥٦)، كما تعد أيضًا من الصيغ اللغوية ذات البعد الحجاجي على الرغم من نظرة الكثير لهذه الصيغ نظرة أدبية حصرتها في وظيفة التحسين والتزويق الكلامي، ومنها الكناية والمجاز المرسل بجميع وجوهه؛ (صولة، ٢٠١١، صفحة ٤٠) لذلك يرى (بيرلمان) أن وظيفة البلاغة الأولى هي الإقناع وليس التأثير فقط، كما أنه لا يعتبر البلاغة مجرد صور فنية وجمالية وتزينية وظيفتها الإمتاع فقط كما هو السائد في البلاغة التقليدية، بل يعتبرها حجاجية وإقناعية بامتياز، ويترتب على ذلك أن الاستعارة حجاجية وإقناعية ليس إلا. ويجب أن تهدف الاستعارة في إطار الخطاب إلى استجلاب موافقة المستمع لهذه الصيغة الحجاجية، وإلا تصبح مجرد محسن بديعي، لا تعدو أن تصبح مبعث إعجاب أو مصدر استحسان للمتلقي لا غير. (حمداوي، د.ت، صفحة ٢٩)، "وخلاصة الأمر أن الاستعارة من الوسائل اللغوية التي يستثمرها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدًا، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية، وما دمنا نعتبر الاستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري." (العزاوي أ.، ٢٠٠٦، صفحة ١٠٥) وعلى هذا فإن اختيار المجالات الاستعارية التي يعتمد عليها الكاتب لن تقوم باستدعاء المعاني التي يريد الوصول إليها فقط، وإنما ستقوم بتلميع ما يريد بيانه بصورة إيجابية أو سلبية تحرك مشاعر المخاطبين، وتدفعهم لإحداث ردود أفعال تجاه الخطاب الموجه إليهم. (رشيد، ٢٠٠٥، صفحة ٢١٣)

وقد استخدم الكاتب حجاج الاستعارة لإقناع القارئ وتوجيهه نحو استكناه بعض النتائج من القول، ومنها قوله:"**أطلق صاحبي هذه الرصاصات ثم راح يتنفس الصعداء في راحة وقد تصور أني توفيت وانتهيت، ولم يبق أمامه إلا استحضار الكفن**". (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١٥)

في المثال السابق استخدم الكاتب الاستعارة التصريحية، فشبه الكلمات بالرصاصات، وذلك ليعبر عن مدى قوتها، ولو افترضنا أن الكاتب استخدم بدلاً من قوله: (أطلق صاحبي هذه الرصاصات...) قوله:(قال صاحبي هذه الكلمات ...)، فإننا سنجد أنفسنا أمام جملة فاترة لا تحمل قدرًا كافيًا من القوة الإقناعية التي تدفع المستمع إلى تصور الحالة التي نُطق بها الكلام، وبناءً عليه، يفقد المتلقي كثيرًا من رغبته في استقبال هذا الكلام الذي يؤثر بدوره في اقتناعه بما يطرح عليه من عدمه، وبالمقارنة بين الجملتين، سنجد أن الجملة الأولى سترد في أعلى درجة من السلم الحجاجي، الذي يؤدي للنتيجة، والذي يرتبط بالاستعارة أشد الارتباط، وهذه الاستعارة التي استخدمها الكاتب توجه القارئ نحو نتيجة هي: (قوة وخطورة هذه الكلمات)، وهذا يؤكد أن القول الاستعاري له قوة حجاجية عالية.

ومن الأمثلة الأخرى التي استخدم الكاتب فيها حجاج الاستعارة قوله: "**نعم ..هذا هو رأي الفلسفة المادية على ما أسمع، إن الضمير سلطة زجر وردع نبتت من الدواعي الاجتماعية...ولكن الحقيقة غير ذلك، الضمير نور وضعه الله في الفطرة ومؤشر ودليل وبوصلة نولد بها.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٧٨)

في المثال السابق استخدم الكاتب عددًا من الاستعارات فاستخدم الاستعارة المكنية في قوله: (الضمير سلطة زجر وردع نبتت من الدواعي الاجتماعية) وهي استعارة يصور بها رأي المذهب المادي للضمير، فشبه الضمير بالنبات الذي ينبت في ظل ظروف معينة، وكأنه نبات شيطاني، وقوله: (الضمير نور) هو تشبيه مقابل ومضاد للاستعارة السابقة وهو من التشبيه البليغ الذي يعتبر من أهم أنواع التشبيه وأكثرها بلاغة؛ وذلك لوحدة طرفيه، وإيجازه مما يجعل المستمع يبذل جهدًا ذهنيًا كبيرًا في البحث عن مجموع الصفات المشتركة بين طرفي التشبيه، وفيه يصور الكاتب الضمير نورًا يولد مع الإنسان، وهذا التشبيه يزيد الملفوظ متانة وتماسكًا؛ لأنه يَعبرُ بالمتلقي من الحجة إلى النتيجة مباشرة، وبمقارنة القارئ بين الشكل المجازي الأول الذي صور به الكاتب وجهة نظر المذهب المادي للضمير الإنساني، وبين الشكل الثاني الذي يشبه فيه الضمير بالنور، يجد نفسه تلقائيًا يرفض الشكل الأول الذي يحمل صورة سلبية يرفضها الطبع الإنساني السليم، فهو يحمل صفات منفرة مثل: (السلطة، الزجر، الردع)، ويقتنع مباشرة بالشكل الثاني ذي الصورة الإيجابية: (النور)، ومن خلال المجازات يستطيع الكاتب إثارة الصور الذهنية لدى المتلقين بواسطة التجربة المعيشة "فبالاندراج ضمن سياقات حجاجية يصدر مثل هذا التصوير أحكام القيمة التي تلزم أكثر الجمهور بأن يتحد مع البداهة الملموسة للصورة، ودون الحديث عن الرمز فإن التأثير الحجاجي للتصوير يرتبط عادة بالاستعارة." (بونوم، خريف ٢٠١٧، صفحة ٤٤٥)، وهكذا يستخدم الكاتب الاستعارات ليدافع عن رأيه وفكرته في مقابل أفكار المذهب المادي، والاستعارة لا تكون حجة إلا عندما تستخدم في الدفاع عن أطروحة أو رأي. (بروطون، ٢٠١٣، صفحة

١٢٣) كما أن الحجة التي تكون ناتجة عن الاستعارة والتشبيه تكون على درجة عالية من الفعالية الحجاجية؛ وذلك لأنها تمثل درجة أعلى في الإقناع من المعنى الحقيقي الذي جاءت لتسد مسده. (صولة، ٢٠١١، صفحة ٩٣)

٢- حجاج الشرط:

يأتي حجاج الشرط من خلال ما أسماه علماء أصول الفقه بـ(مفهوم الشرط)، الذي يدخل تحت (مفهوم المخالفة) أو (دليل الخطاب)، وهو "أن يكون المسكوت عنه مخالفًا للمنطوق به في الحكم." (زيدان، ١٩٧٦، صفحة ٣٦٦) ومفهوم الشرط هو "دلالة اللفظ المفيد لحكم معلق بشرط، على ثبوت نقيضه عند انتفاء الشرط، أي إن التعليق بالشرط يوجب وجود الحكم عند وجود الشرط، ويوجب عدم الحكم عند عدم الشرط...مثال: قوله تعالى:﴿**وَإِنْ كُنَّ أُوْلاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾[الطلاق:٦] أفادت هذه الآية الكريمة بدلالة العبارة: وجوب النفقة للمطلقة طلاقًا بائنًا إذا كانت حاملاً، ودلت بمفهوم المخالفة على انتفاء هذا الحكم عند عدم الحمل." (زيدان، ١٩٧٦، صفحة ٣٦٧)، وبهذا يكون الشرط وأداته في الآية الكريمة هما المسئولان عن ظهور (مفهوم المخالفة)، وهو ما يسميه (ديكرو) بـ(المفهوم). (الناجح، ٢٠١١، صفحة ٤٥)

من أمثلة حجاج الشرط ما أورده الكاتب في سياق رده على صديقه الملحد الذي يتهم الإسلام بالوثنية وخصوصًا في مناسك الحج، من طواف حول الكعبة، ورجم لإبليس، وسعي حول الصفا والمروة، وغيرها من الشعائر والمناسك، التي تعتبر بالنسبة للمسلمين مناسبات لتحريك الفكر وبعث المشاعر

وإثارة التقوى في القلب فيقول له: "**ولو وقفت معي في عرفة بين عدة ملايين يقولون الله أكبر، ويتلون القرآن بأكثر من عشرين لغة ويهتفون لبيك اللهم لبيك ويبكون ويذوبون شوقًا وحبًا، لبكيت أنت أيضًا دون أن تدري وذبت في الجمع الغفير من الخلق وأحسست بذلك الفناء والخشوع أمام الإله العظيم مالك الملك الذي بيده مقاليد كل شيء.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٨٥)

في المثال السابق ومن خلال الشرط: (لو وقفت لبكيت وذبت...وأحسست)، منطوق العبارة يدل على البكاء والذوبان والإحساس بالفناء والخشوع أمام الله لو أنه وقف هذا الموقف، أما دلالة العبارة بمفهوم المخالفة فهو انتفاء (البكاء والذوبان والإحساس)؛ لانتفاء الوقوف بعرفه، وبهذا يلزم الكاتب صديقه الحجة، التي تُسْتَشَفُّ من مفهوم هذا الشرط الذي مفاده: (طالما أنك لم تقف هذا الموقف، فلن تبكي ولن تذوب، ولن تحس بالفناء والخشوع أمام الإله الأعظم).

وفي مثال آخر في سياق إثبات كروية الأرض، التي ألمح إليها القرآن الكريم في قول الله تعالى:﴿**فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ والمَغَارِبِ**﴾[المعارج:٤٠]، وقوله جل شأنه:﴿**ربُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ**﴾[الرحمن:١٧]، وفسرتها بعد ذلك علوم المستقبل، يقول الكاتب:"**ولو كانت الأرض مسطحة لكان هناك مشرق واحد ومغرب واحد.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١٠٦) فيبدأ الكاتب في محاولة إقناع قارئه بإيراد الآية القرآنية التي تنص على تعدد المشارق والمغارب، ويتبع ذلك بأسلوب الشرط، الذي يثير من خلاله تفكيره ليصل من خلال مفهوم الشرط، إلى النتيجة التي يريد الوصول إليها، وهي : (طالما أن هناك تعددًا للمشارق والمغارب، فالأرض كروية).

٣- حجاج الوصف:

يعد اختيار النعوت والصفات من مظاهر اختيار المعطيات، وذلك لأهمية دور الصفات في العملية الحجاجية فهي تقوم بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة تقوم بإجلاء وجهة نظرنا وموقفنا من موضوع ما، خصوصًا إذا كان هناك صفتان متناظرتان ومتعارضتان في ذات الوقت، لذلك فالمقصد الحجاجي من إطلاق الصفة على الموصوف هو تحديد نوع الموقف الذي ينبغي أن يحكم به عليه، بالإضافة إلى تصنيفه ووضعه في خانة ما مع سائر العناصر التي تشاركه تلك الصفة، والكشف عن موقفنا تجاه هذا الموصوف، فوصف شخص ما بأنه سارق يتعدى مجرد الإدانة إلى تحديد نوع العقاب الذي ينبغي أن يلقاه هذا الشخص. (صولة، ٢٠١١، صفحة ٣٢) كما أن من أشكال النعت إعادة تسمية الشيء باسم جديد يعيد بعض مميزاته في بعض المناسبات، وهو ما يعد من قبيل إعادة التأطير. (بروطون، ٢٠١٣، صفحة ١٠٦)

وأول ما يواجه المتلقي من أمثلة الحجاج الوصفي هو وصف الكاتب لصديقه في عنوان الكتاب بـ(صديقي الملحد)، فيأتي العنوان على شكل مركب وصفي، فجزؤه الأول (صديقي) يحمل كثيرًا من الود والمحبة، ليشير الكاتب للمتلقي إلى أن الحوار مبني على الموضوعية والعقلانية وقبول الآخر، بعيد عن الذاتية، ثم يأتي الجزء الثاني ليبين صفة هذا الصديق إنه (ملحد!!)، فيستثمر الكاتب العنوان أفضل استثمار ويشحنه دلاليًا، ويحمِّله أبعاده الذاتية التي تنطوى على قصديته وأيدولوجيته وانفعالاته وأحاسيسه تجاه خصمه ومحاوره، حتى يقوم العنوان بدوره في عملية الضغط والتأثير على المتلقي عبر إثارته وتحريضه على

هذا الشخص، حتى قبل الدخول في النص، ليجعله في صف الكاتب، وذلك لما تحمله صفة (الإلحاد) من إشارات بغيضة وسلبية لدى القارئ، فالملحد شخص يرفض الدين ويطعن فيه، وينكر وجود الله، وبهذا استطاع الكاتب أن يهيأ بشكل كبير عقل المتلقي لاستقبال أفكاره والإقتناع بها.

ومن الأمثلة الأخرى وصف الكاتب للمرأة مرة بأنها (ناشز) ومرة بأنها (سوية) فيقول: "**أما الضرب والهجر في المضاجع فهو معاملة المرأة الناشز فقط، أما المرأة السوية فلها عند الرجل المودة والرحمة.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٦٠)، وذلك في سياق رده على صاحبه الذي يرى أن الإسلام يمتهن المرأة ويأمر بضربها، فيحاول الكاتب إبطال هذه الدعوى من خلال استدعائه للوصف القرآني للمرأة التي تتمرد على زوجها وتعصيه وتجافيه، بأنها (ناشز) فبمجرد وصف المرأة بهذا الوصف، تتشكل صورة سلبية في وعي المتلقي لهذا النوع المتمرد من النساء، ومن ثمَّ يتقبل المتلقي فكرة الضرب كنوع من أنواع العقاب الذي حدده الله تعالى في القرآن لهذه المرأة، لاسيما وأنه جاء في مرحلة ثالثة بعد (الوعظ والهجر)، وفي المقابل يأتي وصف لواحدة أخرى من النساء، وهي (المرأة السوية)، ووصف الكاتب للمرأة بالسوية يشكل في عقل المتلقي صورة إيجابية مقابلة للصورة السابقة، ليهيئه لاستقبال ما سيصدره من أحكام وما يحدده من جزاء لها، وهو المودة والرحمة، وبهذا يتجاوز الوصف مجرد تصنيف المرأة ضمن مجموعة من النساء اللاتي يشتركن في صفات واحدة، إلى حث المتلقي على رفض دعوى هذا الملحد والاتفاق مع وجهة نظر الكاتب والاقتناع بها.

٤- الحجاج بالتكرار:

يعد التكرار من أهم التقنيات اللغوية في عملية الحجاج، " فمن طرائق عرض الخطاب عرضًا حجاجيًا اعتماد التكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها" (صولة، ٢٠١١، صفحة ٣٥)، يقول ابن الأثير: "اعلم أن هذا النوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ" (الأثير(ت:٦٣٧هـ)، ١٩٣٩، صفحة ١٥٧/٢)، وللتكرار أسماء عدة منها (الترديد، والترداد)، وينقسم إلى: التكرار في اللفظ والمعنى، والتكرار في المعنى دون اللفظ، وقد مثَّل ابن الأثير للأول بقولك لمن تستدعيه: (اسرع اسرع)، وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ، فمثل له بقولك لغيرك: (اطعني ولا تعصني)؛ لأن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية. (الأثير(ت:٦٣٧هـ)، ١٩٣٩، صفحة ١٥٧/٢) كما ينقسم إلى مفيد وغير مفيد "واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدًا له، وتشيدًا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت في كلامك؛ إما مبالغة في مدحه أو في ذمه، أو غير ذلك، ولا يأتي إلا في أحد طرفي الشيء المقصود بالذكر، والوسط عار منه؛ لأن أحد الطرفين هو المقصود بالمبالغة إما بمدح أو ذم أو غيرهما، والوسط ليس من شرط المبالغة؛ وغير المفيد لا يأتي في الكلام إلا عيًّا وخطلاً من غير حاجة إليه" (الأثير(ت:٦٣٧هـ)، ١٩٣٩، صفحة ١٥٨/٢)، وتتعدد أدوار التكرار في النص، فمنها ما هو تركيبي، ومنها ما هو اتصالي إقناعي وهو موضوع هذه الدراسة.

وللتكرار أنواع متعددة منها:

١- التكرار على مستوى الشكل:

- **تكرير المكرر بذاته، سواء كان لفظًا مفردًا أو غير ذلك:**

استخدم الكاتب هذا النوع من التكرار في كثير من مواضع كتابه ففي سياق تأكيده على حرية الإنسان وأنه سيحاسب على كل ما يقوم به من أعمال بإرادته الحرة يقول: "**أنت حر في أن تقمع شهوتك، وتلجم غضبك، وتقاوم نفسك وتزجر نياتك الشريرة، وتشجع ميولك الخيرة، أنت تستطيع أن تجود بمالك ونفسك، أنت تستطيع أن تصدق وأن تكذب، وتستطيع أن تكف يدك عن المال الحرام، وتسطيع أن تكف بصرك عن عورات الآخرين، تستطيع أن تمسك لسانك عن السباب والغيبة والنميمة، في هذا المجال نحن أحرار**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١٦)

في المثال السابق نلحظ أن الكاتب قام بتكرار العديد من الكلمات مثل الضمير(أنت)، والفعل (تستطيع)، وهذه الكلمات التي كررها الكاتب لم تتكرر في النص اعتباطًا، بل إن الكاتب يهدف من ورائها إلى تغيير سلوك المخاطَب، ودفعه نحو الاقتناع بفكرة القدرة الذاتية والحرية الشخصية التي يمتلكها الإنسان وتميزه عن سائر المخلوقات، وهكذا يعتمد الكاتب في إقناعه للمتلقي على العرض اللغوي للدعاوى الحجاجية وتكرارها والإلحاح عليها وصياغتها صياغة موازية، وإلباسها إيقاعات نغمية متكررة، مما يرفع من قدرتها التأثيرية على المتلقي، وبالتالي اقتناعه بالفكرة موضع الطرح.

- **التكرير في هيئة عنصرين من مادة واحدة:**

أما التكرير في هيئة عنصرين من مادة واحدة فورد في عدد من مواضع الكتاب منها ما ورد من رد الكاتب لدعوى صديقه التي يدعي فيها أن الإسلام يشجع على الرق والعبودية من خلال الآيات التي تدعو إلى ملك اليمين، فيبين له الكاتب أن الاسترقاق حقيقة ثابتة قبل الإسلام، وكانت الأديان السابقة تأمر العبد بطاعة سيده، فنزل القرآن ليكون أول كتاب سماوي يأمر بفك الرقاب، فيقول الكاتب: "**فكان الحل القرآني هو قفل باب الرق ثم تصفية الموجود منه، وكان مصدر الرق في ذلك العصر هو استرقاق الأسرى في الحروب، فأمر القرآن بأن يطلق الأسير، أو تؤخذ فيه فدية، وبأن لا يؤخذ الأسرى أرقاء**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٦٢)

يلحظ في المثال السابق أن الكاتب استخدم كلمة: (رق –استرقاق– أرقاء) وكلها كلمات من مادة واحدة، وتعكس هذه الهيئة من التكرير في سياقها الحجاجي رغبة الكاتب الملحة في التأثير على المتلقي باستخدام علامات لغوية تعتمد في تأثيرها السمعي على مبدأ التجانس، وأن يثبت للخصم ما يبرهن على صلاحية معتقده، ولكن تظل الرغبة غير متحققة، لأن ما يصدر عن ذلك الخصم يضاد ذلك المعتقد.

- **التكرير بإعادة الصياغة:**

من أمثلة هذا النوع من التكرير ما جاء في رد الكاتب على صديقه في دعواه التي يرى فيها جبرية الإنسان طالما أن الله قد كتب أعماله منذ القدم فيقول

له: "**قلنا إن التسيير الإلهي هو عين التخيير؛ لأن الله يختار للعبد من جنس نيته وقلبه، ومعنى ذلك أنه يريد للعبد نفس ما أراد العبد لنفسه بنيته واختياره، أي أن العبد مسير إلى ما اختار.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١١٤)

في المثال السابق يكرر الكاتب نفس المعنى بصياغات مختلفة، تكرار بتغيير التركيب، فقوله: (التسيير الإلهي هو عين التخيير لأن الله يختار للعبد من جنس نيته وقلبه) هو نفس معنى قوله: (أنه يريد للعبد نفس ما أراد العبد لنفسه بنيته واختياره)، وهو أيضًا نفس معنى قوله (أن العبد مسير إلى ما اختار) وفي هذا النوع كما نرى تتسع مساحة الحرية للكاتب بخلاف الأشكال السابقة، وكون الكاتب يعيد المعنى بتركيبات وصياغات مختلفة فهذا يعد نوعًا من بناء المعنى، وتأكيدًا على وجهة النظر المطروحة.

٢- **التكرار على مستوى المضمون:**

يبنى هذا النوع من التكرار على تكرير المحتوى أو المضمون، وعلى مكونات لغوية بينها ترادف تام أو شبه ترادف، ومن أمثلة هذا النوع:

- **استخدام مفردتين أو أكثر على أنها مترادفة يمكن أن تحل إحداها محل الأخرى:**

استخدم الكاتب هذا النوع من التكرار في كثير من مواضع الكتاب ومن ذلك قوله: "**المسلك التحكمي، وهو ما يسمى في الاصطلاح العلمي "سادزم" sadism وهو تلك الحالة المرضية التي تلتذ فيها المرأة بأن تتحكم وتسيطر وتتجبر وتتسلط وتوقع الأذى بالغير.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٦٠)

نجد أن الكاتب في قوله السابق قد كرر عددًا من الأفعال مثل: (تتحكم وتسيطر وتتجبر وتتسلط)، وكل هذه الأفعال بينها شبه ترادف فكلها تدور في معنى (فرض السيطرة بالقوة) ويهدف الكاتب من هذا التكرار إلى شغل فضاء ذلك المعنى كاملاً من خلال الجمع بين كلمات لها نفس المعنى، والإصرار على تبرير قوله تعالى:﴿**فَاضْرِبُوهُنَّ**﴾ في حالة النشوز؛ لأن هذا النوع من النساء الذي يعاني من مرض الـ(سادزم)، لا علاج له وفق علم النفس الحديث إلا الضرب كما وضح ذلك القرآن الكريم.

- **أن تتضمن الكلمة الثانية الكلمة الأولى:**

وهو أن تكون علاقة الكلمة الثانية بالكلمة الأولى علاقة العام بالخاص، ومن ذلك ما جاء في كلام الكاتب في سياق رده على دعوى صديقه الذي يرى أن الإنسان هو جسده، وليس الروح، فيؤكد له أن الإنسان هو روحه؛ لأنه يمكن أن يستبدل أعضائه دون أن يؤثر ذلك على إنسانيته، فيقول له: "**لأن الذراع، أو تلك الساق، أو ذلك الشعر، أو العين، أو النهد، كل هذه الأشياء ليست هي الإنسان**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٦٩)

في المثال السابق وإن كانت الكلمات:(الساق، الشعر، العين، النهد) لا تمثل الإنسان كما يرى الكاتب إلا أنها أجزاؤه، فكلمة (إنسان) تضمنت معنى تلك الكلمات التي قبلها، وكانت العلاقة الرابطة بين هذه الكلمات علاقة العام بالخاص.

- **أن تتضمن الكلمة الأولى الكلمة الثانية:**

وهي علاقة عكس العلاقة السابقة، ومن أمثلتها قول الكاتب: "...**وهو شعور ثابت ممتد لا يطرأ عليه التغيير لا يسمن ولا يهزل ولا يمرض ولا يتصف بالزمان وليس فيه ماض وحاضر ولا مستقبل**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٦٧)

في المثال السابق نجد أن كلمة (الزمان) قد تضمنت معنى الكلمات التي تليها وهي (الماضي والحاضر والمستقبل)، وهذا يعد من قبيل التفصيل بعد الإجمال، وهو أيضًا من الأساليب التي تهدف إلى التوضيح الذي يفضي بدوره إلى الإقناع والتأثير في المتلقي.

- **تكرير المضمون على مستوى الجمل والعبارات:**

من أمثلة هذا النوع التكرار، قول الكاتب: "**ثم نرى القرآن يحدثنا عن الغيب المطلسم من أسرار الجن والملائكة مما لا يُكشف إلا لقلة من المخصوصين من أهل التصوف، فإذا رأى هؤلاء فهم لا يرون إلا ما يوافق كلمة القرآن، وإذا طالعوا لا يطالعون إلا ما يطابق أسراره.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١١١)

في المثال السابق يكرر الكاتب مضمون العبارة بكلمات بينها نوع من الترادف فقوله: (وإذا طالعوا لا يطالعون إلا ما يطابق أسراره) هو تكرار لمضمون الجملة السابقة عليها وهي: (فإذا رأى هؤلاء فهم لا يرون إلا ما يوافق كلمة القرآن).

وهكذا لا يكون التكرار مجرد تقنية أسلوبية هدفها التنغيم في الكلام فقط، بل هو طريقة لتأطير الأطروحة، كما يعد صورة من صور الإلحاح على بعض العناصر، وذلك بتركيز الانتباه عليها فيتم تكثيف حضورها في وعي المتلقين، ومن ثم تشكل حجة التكرار شكلاً من أشكال الإقناع والحجاج.

٥- حجاج الاستفهام:

يعد الاستفهام من الطرق التي يوجه بها المتكلم المستمع إلى الاقتناع بما يقول، وهو من التقنيات المهمة ذات القيمة، وليس شيئًا من قبيل الترف الفكري، وإنما هو من صميم عملية التفكير المؤدية إلى الاقتناع، إذ يفترض السؤال شيئًا تعلق به هذا السؤال، ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء، كما أن لجوء المتكلم إلى الاستفهام قد يهدف أحيانًا إلى توجيه المستمع إلى إبداء موافقته إذا أجاب، ومن هنا يكتسب الاستفهام أهميته كتقنية حجاجية. (صولة، ٢٠١١، صفحة ٣٨)، وعلى الرغم من أهمية الاستفهام في العملية الحجاجية، إلا أن الإسراف في السؤال بتكثير المقدمات والمباعدة بينها وبين النتيجة من الأمور التي تقلل من أهمية الاستفهام وتكثر مزالقه، وتنسب صاحبها إلى القصور. (البهلول، ٢٠١٣، صفحة ١١٤)

استخدم الكاتب على امتداد كتابه السؤال تقنية للحجاج والإقناع، فيستثمر الأسئلة وقدرتها على إيقاظ الفكر وتحريك عقل المتلقي وتذعينه، وتوجيهه في طريق البحث للعثور على الإجابة المقنعة، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في سياق حواره مع صديقه ومحاولة نقض أفكاره المادية التي ينكر من خلالها وجود

الروح والبعث، وذلك لاقتناعه بالمذهب المادي الذي يرى أن الإنسان هو جسده، وأن الجسد هو الحاكم وباقي مكونات الإنسان من نفس ورح وعقل تابعة لهذا الجسد، فيقول الكاتب: "**فالحقيقة أن الجسد تابع وليس متبوعًا، مأمور وليس آمرًا، ألا يجوع الجسد فنرفض إمداده بالطعام لأننا قررنا أن نصوم هذا اليوم لله؟!.. ألا يتحرك بشهوة فنزجره؟! ألا نصحو في الصباح فيبدأ الجسد تلقائيًا في تنفيذ خطة عمل وضعها العقل وصنَّف بنودها بندًا بندًا من ساعة إلى ساعة؟! من التابع هنا ومن المتبوع؟ ولحظة التضحية بالنفس حينما يضع الفدائي حزام الديناميت حول جسده ويتقدم ليحطم الدبابة ومن فيها، أين جسده هنا؟ أين المصلحة المادية التي يحققها بموته؟ ومن الذي يأمر الآخر؟ إن الروح تقرر إعدام الجسد في لحظة مثالية تمامًا لا يمكن أن يفسرها أي مذهب مادي بأي مكسب مادي والجسد لا يمكن أن يقاوم هذا الأمر ولا يملك أي قوة لمواجهته، ولا يملك إلا أن يتلاشى تمامًا، وهنا يظهر أي الوجودين أعلى، وأي الطبيعتين هي الإنسان حقًا.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٦٨)

هكذا يبدأ الكاتب بطرح نتيجته التي يروم التأكيد عليها، وهي قوله: (الجسد تابع وليس متبوعًا، مأمور وليس آمرًا)، ثم يتبعها بوابل من الأسئلة الاستنكارية المتناسلة التي يقتاد بها محاوره تدريجيًا إلى تبيين ما في تفكيره من وجوه الخطأ، مثل: (ألا يجوع الجسد فنرفض إمداده بالطعام لأننا قررنا أن نصوم هذا اليوم لله؟!)، (ألا يتحرك بشهوة فنزجره؟!)، (ألا نصحو في الصباح فيبدأ الجسد تلقائيًا في تنفيذ خطة عمل وضعها العقل وصنف بنودها بندًا بندًا من ساعة إلى ساعة؟!)، فيصدم عقل المتلقي الذي يقوم بتحليل هذه الأسئلة وفقاً لقواعد

وضوابط عقليه، وليس بصورة اعتباطية، وفي النهاية لا يملك أمامها إلا الإقرار بما يؤكد صدق النتيجة المطروحة، وبهذا يستطيع الكاتب إبطال حجة صديقه، وإقناع المتلقي بصدق نتيجته. وفي المثال السابق يلاحظ أن الاستفهام قد خرج من معناه المقالي أو الدلالي الذي تتحدث عنه قواعد الأبنية والقواعد الدلالية، وهو تلقي إجابة من المتلقي بـ(بلى) أو (نعم)، إلى معنى منجز فعلي، إلى معنى اقتضاه المقام وسوغته ظروف الكلام، هذا المعنى هو تقرير حقيقة لا جدال فيها ولا مراء، وهي (أن الجسد تابع وليس متبوعًا، مأمور وليس آمرًا).

كما يرد في بعض الأحيان على الاستفهام التعجيزي الذي يروم خصمه من ورائه استدراجه والإيقاع به، باستفهام مقابل ومماثل، يضع من خلاله خصمه في مواجهة مع سؤاله، فعندما سأله صديقه: "**وما هو الكرسي وما العرش؟**" رد عليه الكاتب بقوله: "**قل لي ما الإلكترون أقل لك ما الكرسي، قل لي ما الكهرباء، قل لي ما الجاذبية، قل لي ما الزمان، إنك لا تعرف ماهية أي شيء لتسألني ما الكرسي وما العرش، إن العالم مليء بالأسرار وهذه بعض أسراره.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١١٦)، وهكذا يرد الكاتب هجوم صديقه بهجوم مماثل ويحوله من مهاجم إلى مدافع عاجز عن الدفاع عن نفسه، وبهذا يظهر عجز الملحد وإفلاسه أمام المتلقي، وبالتالي ينصرف عن الاقتناع بقوله، وإن لم يقتنع بكلام الكاتب.

٦- حجاج النفي:

يعد النفي من الجهات التعبيرية التي لها دور حجاجي في عرض المعطيات، يحقق من خلاله المتكلم وظيفة اللغة الحجاجية التي تتمثل في إذعان المستمع من خلال توجيهه باللفظ نحو نتيجة معينة، فهو رد على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير، فبعض العلماء يرى أن الفكر السالب لا يكون في الكلام إلا إذا كان الأمر متعلقًا بمواجهة الغير، أي حين يكون مدار الأمر على الحجاج. (صولة، ٢٠١١، صفحة ٣٧)، وتحتوي اللغة العربية على عدد من حروف النفي مثل: (لا، لن، لم، ما، لمَّا، إن)، حسب ما ذكر ابن يعيش الذي يرى أن النفي يكون بمقدار الإيجاب؛ لأنه إكذاب له، لذلك ينبغي أن يكون وفق لفظه لا فرق بينهما، غير أن أحدهما نفي والآخر إيجاب. (يعيش(ت:٦٤٣هـ)، د.ت، صفحة ١٠٧/٨)، والمهم في تعريف ابن يعيش أنه يعد النفي إكذابًا، والإكذاب توجيه للملفوظ وللمستمع نحو نتيجة يجب أن يصدق بها قصرًا، كما يتجلى من خلال تعريفه فرقان بين النفي والإثبات: الأول: شكلي: ويتمثل في صدارة عامل النفي على المستوى النطقي أو الكتابي. والثاني: مضموني: ويتمثل في حصول المفهوم من النفي، وهو نفي الخطاب المثبت وتقييم الحقيقة المشار إليها في خطاب الإثبات وإثبات عكسها، كما يعتبر (ديكرو) أن النفي من أهم العوامل الحجاجية في تحديد منزلة الملفوظ من السلم الحجاجي، وخصص له نصيبًا كبيرًا في تحديد وجهة الخطاب الحجاجية واعتبره أدق العوامل التي تحدد منزلة الملفوظ في السلم الحجاجي، فبمجرد إدراج عامل النفي في الجملة تتحدد النتيجة بسرعة، ولا يجد المتلقي صعوبة في الوصول إليها، وعلاوة على الوظيفة التوجيهية لعامل النفي في الخطاب الحجاجي، فإنه

ضروري لوصف البنية الدلالية العميقة للملفوظ الذي يبدو غير منفي على حد قول ديكرو. (الناجح، ٢٠١١، الصفحات ٤٨-٤٩).

وقد أكثر الكاتب من استخدامه لهذه التقنية الحجاجية، لا سيما النفي الجدلي الذي يقوم على معارضة المتكلم لرأي معاكس لرأي صاغه خصمه صياغة إثباتية، ومن الشواهد على هذا النوع قول الكاتب ردًا على سؤال صديقه: "**صدقنا وآمنا بهذا الخالق ألا يحق لنا بنفس المنطق أن نسأل، ومن خلق الخالق؟ من خلق الله الذي تحدثوننا عنه؟، ألا تقودنا نفس استدلالاتكم إلى هذا، وتبعًا لقانون السببية؟**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٧)، فيرد عليه الكاتب نافيًا قوله فيقول:"**والله هو الذي خلق قانون السببية، فلا يجوز أن نتصوره خاضعًا لقانون السببية**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٨) ومن خلال عامل النفي الذي أدمجه الكاتب في رده ينفي الحقيقة التي أراد صديقه إقامتها من خلال سؤاله التقريري، وهي (خضوع الله لقانون السببية)، والذي رشح هذه الجملة لأن تكون جملة تقريرية، التعامل بين الاستفهام والنفي، وهو ما جعل هذه الجملة قوية من حيث الحجاج، فيثبت الكاتب عكسها وهي (لا يجوز خضوع الله لقانون السببية؛ لأنه خالقه)، وهي الحقيقة والنتيجة المفهومة من النفي، والمتلقي لا يمكن له إدراك أهمية النفي إلا بإدراك النتيجة التي أراد المتكلم توجيهه إليها، والأهم من ذلك أن هذه المعطيات اللغوية تمثل تعليمات للمتلقي لاستخلاص النتيجة، وذلك بربطها بين الأقوال دون غيرها. (العزاوي أ.، خريف ٢٠١٧، صفحة ٣٧٨).

٧- التعريف الحجاجي:

إن التعريف الحجاجي هو نوع من حجاج التأطير، وهو لا يعني أن يقترح الكاتب تعريفًا موضوعيًا للشيء، ولكنه يعني الإلحاح على المظهر الذي يبدوا أكثر تحديدًا لتخصيصه، كما يتميز التعريف الحجاجي عن التعريف الوصفي والمعياري بأن الأول يتم فيه تقديم المعرَّف في جو يلائم الحجاج، بينما الثاني يفترض تطابقًا قابلاً للمراقبة بين المعرِّف والمعرَّف، لذا يجب التفريق بين التعريف بوصفه كيفية للمعرفة وبين التعريف الحجاجي بوصفه بناء للواقع بغرض المحاججة، بحيث يعيد التعريف تأطير المعرَّف في شكل جديد يتوافق مع الموقف من خلال التطويع الذي يعد تعريفًا حجاجيًا يقدم بوصفه تعريفًا معياريًا وصفيًا للمتلقي؛ ليدفعه إلى التصديق بأنه بهذه الصفة، فهذا النوع من الحجج ينطوي على جدة بالنسبة للمتلقي؛ لأنه يستدعيه إلى عالم لم يسبق له أن فكر فيه تلقائيًا من خلال استدلالاته المعتادة، حتى وإن كانت العناصر المكونة للاستدلال الجديد معروفة لديه بشكل منفصل (بروطون، ٢٠١٣، الصفحات ١٠٠-١٠٢). فالتعريف الحجاجي: "صورة تستخدم لا على سبيل شرح معنى كلمة وإنما لتبرز بعض المظاهر الحافة بواقعة ما، مما من شأنه أن يعزب عن ذهن السامع." (صولة، ٢٠١١، صفحة ٤٠)ومن الأمثلة على ذلك إعادة تعريف الكاتب لفعل (المحو)، وذلك في إطار حجاج صاحبه الذي يتهم الله بأنه يخطئ كما نخطئ في الحساب فيمحو ويثبت، وأنه يراجع نفسه كالبشر، ويستند في ذلك إلى ما جاء في القرآن الكريم:﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ**﴾[الرعد:٣٩]، فصديقه الملحد يفهم المحو على أنه إزالة الشيء بعد

وجوده، وهو الفهم الذي يتبادر إلى ذهن المتلقي، فيأتي الكاتب ليعيد تعريف (المحو) تعريفًا جديدًا يتناسب مع الموقف الحجاجي، فيقول: **الله يمحو السيئة بأن يلهمك بالحسنة، ويقول في كتابه:﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود: ١١٤]**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١١٧)، وبهذا التأطير الجديد لمفهوم (المحو) ينسف الكاتب دعوى صاحبه نسفًا، ويجعل المتلقي في صفه، بعد أن قدم له تعريفًا جديدًا لم يكن ظاهرًا له، وهو أن محو السيئات ليس إزالتها بعد وجودها، ولكن بقاؤها مع محو أثرها وفعاليتها، بإلهام الله العبد فعل الحسنات التي إن زادت وغلبت في الميزان لم يبق للسيئات تأثير وكأنها لم تكن، وبهذا يمحو الله دون أن يمحو.

٨- حجاج السلطة:

تأتي هذه الحجة من هيبة المتكلم ونفوذه وسلطته، وهي حجة تستخدم أعمال شخص أو مجموعة أشخاص أو أحكامهم حجة على صحة طرح ما، وتتعدد أشكال هذه السلطة فقد تكون (الإجماع) أو (الرأي العام) أو (العلماء) أو (الفلاسفة) أو (الكهنوت) أو (الأنبياء)، وقد تكون السلطة غير شخصية، كـ(الكتب المقدسة) أو (العلوم) أو (العقيدة)، وفي العادة تأتي حجة السلطة مكملة لحجج سابقة عليها، فهي حجة مكملة وليست الوحيدة في عملية الكلام. (صولة، ٢٠١١، صفحة ٥٣)

وقد استخدم الكاتب هذا النوع من الحجاج من خلال الاستشهاد بعدد من أشكال هذه السلطة إذا يعد الاستشهاد من أنواع الحجج التي يستخدمها المتكلم

لإقناع مستمعيه، و"غايته توضيح القاعدة، وتكثيف حضور الأفكار في الذهن". (الحباشة، ٢٠٠٨، صفحة ٤٩)، ويعد الشاهد قديمًا وحديثًا من أهم عناصر الحجاج، وهو مرادف للدليل والحجة والبرهان، فبالإضافة لما يحمله الشاهد من دلالة بيانية وبلاغية فإنه أيضًا يحوي حمولة عقلية ومعنوية تؤثر في المتلقي وتحمله على الاقتناع والتصديق بالخبر المستشهد عليه، وذلك من خلال إشباع مشاعره وفكره معًا، واستمالته وإغرائه لكسب تأييده وموافقته الضمنية أو الصريحة. (أعراب، ٢٠٠١، صفحة ١٠٩)

فيستشهد الكاتب بالعلم وآراء العلماء والفلاسفة والكتب المقدسة، في سياق رده على صديقه المنكر لوجود الله لعدم قدرته على الإحاطة به، فيقول له: "**وعمانويل كانت الفيلسوف الألماني في كتابه "نقد العقل الخالص" أدرك أن العقل لا يستطيع أن يحيط بالحقائق اللامحدودة وأنه مهيأ بطبيعته لإدراك الجزئيات فقط، بينما هو قاصر عن إدراك الوجود الكلي مثل الوجود الإلهي.. وإنما عرفنا الله بالضمير وليس بالعقل، ...أما أرسطو فقد استطرد في تسلسل الأفكار قائلاً: ...، أما ابن عربي فكان رده: ...، يقول الله في حديث قدسي:... والقرآن يغنينا عن هذه المجادلات بكلمات قليلة وبليغة فيقول بوضوح قاطع ودون تفلسف: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ*اللهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدْ﴾[الإخلاص]...، وسوف نرد عليه بالمنطق الذي يعترف به، بالعلم وليس بالقرآن.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٨)

وفي دفع الكاتب للتهمة التي ساقها صاحبه بأن الإسلام يدعو إلى الرق والعبودية استنادًا إلى الآية القرآنية: ﴿**وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾[النساء:٣٦]، يرد عليه

بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي دعا إلى تصفية الرق، ويذكر له ما يؤكد على أن عقائد أخرى هي التي تدعو إلى العبودية فيذكر له أن بولس الرسول قد أوصى العبيد في رسائله إلى أهل أفسس، بطاعة سادتهم كما الرب، فيستشهد بقول بولس الرسول من الإنجيل: "**أيها العبيد أطيعوا سادتكم بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما الرب.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٦١)، كما يستشهد بالشعر العربي على أن المشاق والآلام هي التي تفرز الناس وتكشف معادنهم فيذكر قول المتنبي (من البسيط):

لَوْلا المَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ الجَودُ يُفْقِرُ وَالإِقْدَامُ قتَّالُ

وهكذا يعد الرأي المطروح من قبل الكاتب مقبولاً لدى المتلقي؛ لأن هناك سلطة تدعمه، فيستخدم الكاتب حجاج السلطة من خلال سلسلة الاستشهادات التي يسوقها على امتداد كتابه، وتعتبر هذه السلطة في أغلبها من الأمور المتفق عليها مسبقًا بين الكاتب والمتلقي، فيكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والكتب المقدسة، والآراء العلمية، وأقوال العلماء، والشعر العربي، وذلك لإقناع المتلقي وهو المقصود الحقيقي من الحوار، ولإفحام صديقه الملحد، وذلك عبر وضع المتلقي في مواجهة أقوال لها قوة سلطوية إقناعية لا يستطيع ردها وما عليه إلا الاقتناع بها.

٩- حجاج التمثيل:

يحتل التمثيل في الحجاج مكانة مهمة باعتباره وسيلة برهنة فهو ذو قيمة حجاجية، والتعقل بالتمثيل يحتل مكانة مركزية في الإنشاءات العقلية، فهو تعقل

قائم على التشابهات، أو العلاقات لشيء مع شيء آخر؛ لذلك تتجلى قيمة التمثيل الحجاجية حين ننظر إليه على أنه تماثل قائم بين البنى، فالتعرف المبدئي على الأشياء يكون من خلال ملاحظة ما تشترك فيه هذه الأشياء وما تختلف فيه، وصيغة هذا التماثل العامة هي: أن العنصر(أ) يمثل إلى العنصر(ب) ما يمثله العنصر(ج) بالنسبة إلى العنصر(د)، وهذا يعني أن التمثيل مواجهة بين بنى متشابهة وإن كانت من مجالات مختلفة، وأن العلاقة بين العناصر ليست علاقة تشابه، بل تشابه علاقة، كما يسمى(أ)، و(ب) بالموضوع، ويسمى(ج)، و(د) بالحامل، وعادة ما يكون الحامل أشهر من الموضوع، بحيث يأتي ليوضح بنيته العلائقية، ومن شرط هذا النوع من التمثيل أن يكون (الموضوع) و(الحامل) من ميدانين مختلفين، كما ينبغي أن لا يطول وإلا فقد قيمته الإقناعية، ومن أمثلته، قول الله تعالى:﴿**مَثَلُ الذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ**﴾[العنكبوت:٤١]، فنجد أن(أ)= المشركون، (ب)=أولياؤهم (الأصنام)، و(ج)=العنكبوت، و(د)=بيتها، ومن أدوات هذا التمثيل (مثل) و(الكاف)، و(كأنَّ) وغيرها من أدوات التشبيه. (صولة، ٢٠١١، صفحة ٥٦)

ومن أمثلة حجاج التمثيل ما يوجهه الكاتب من حديث للملحد الذي يتصور خضوع الله الخالق لقانون السببية الذي ينص على أن لكل صنعة صانعًا، ولكل خلق خالقًا، ولكل موجود موجدًا، وبالتالي يوجه سؤاله (ومن الذي خلق الله؟!): فيقول له: "**وأنت بهذه السفسطة أشبه بالعرائس التي تتحرك بزمبلك وتتصور أن الإنسان الذي صنعها لابد هو الآخر يتحرك بزمبلك..فإذا**

قلنا لها بل هو يتحرك من تلقاء نفسه.. قالت: مستحيل أن يتحرك شيء من تلقاء نفسه.. إني أرى في عالمي كل شيء يتحرك بزمبلك، وأنت بالمثل لا تتصور أن الله موجود بذاته بدون موجد ..لمجرد أنك ترى كل شيء حولك في حاجة إلى موجد" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٨)

في النص السابق يعقد الكاتب صورة تمثيلية مستخدمًا أداة التشبيه (أشبه)، ليقيم تماثلاً بين البنى المتشابهة في العلاقة، مما يدفع المتلقي إلى الاقتناع بما يقال، وهي على الشكل التالي: (أ)= الملحد (ب)= الله الخالق لابد أن يكون مخلوقًا وفقًا لقانون السببية الذي نخضع له. (ج)= العرائس (ج)= الإنسان لابد أن يتحرك بزمبلك مثلما أتحرك بزمبلك.

وهكذا تسير محاورة الكاتب نحو إقناع المتلقي، وفي ذات الوقت إبطال ما يدعيه صديقه من دعاوى، والتي تبدو في ظاهرها ذات عمق ودقة، وقد تم تقويض هذه الدعاوى من خلال الحجاج التمثيلي الذي لا يستمد قوته من العلاقة القائمة بين (أ)، (ب)، لإنتاج (ج)، بل من العلاقة القائمة بين (أ) بـ(ب) التي توازيها علاقة (ج)بـ(د)، وبهذا تكون المعادلة (أ ب=ج د)، هكذا تتجلى قدرة الحجاج التمثيلي في الإقناع عبر القياس ذي القدرة الإقناعية والقوة الإلزامية، وباعتماده أمثلة محسوسة تنقل المفاهيم المجردة إلى العقل وتستنبط معانيها عبر تمثيلها بأشياء مدركة بالحس، ومن ثم يمكن استخلاص المعنى الكلي من خلال الجزئيات المتشابهة في حركة ذهنية قائمة على الاستقراء وقياس الأشباه والنظائر، فيستنبط المتلقي المقابل ويستدعي النقيض، ويعمل عقله في الجمع

والتفريق والتحليل والتركيب، ووصل الظواهر بأسبابها، وكلها أنشطة عقلية يجليها الحوار بوصفه فن مناقشة الآراء. (البهلول، ٢٠١٣، صفحة ٥٥)

١٠- حجاج التناص:

يمكن أن نعرف التناص في أبسط صوره بأنه تفاعل بين النصوص، فيسعى الكاتب إلى أن يضمن كلامه نصوصًا أو أفكارًا أخرى سابقة عليه، بطرق مختلفة: كالاقتباس أو التضمين أو الإشارة، لينتج نصًا جديدًا متكاملاً، ومن خلال التناص يلجأ الكاتب إلى تعميق فكرته، وبلورة رؤيته، وحث المتلقي على إدراك العلاقات بين النص والنصوص الأخرى التي غالبًا ما تكون نصوصًا تتصف بالإبداع والشهرة، والهدف من وراء ذلك توظيف التناص فنيًا وجماليًا، وحجاجيًا لإمتاع المتلقي وتوصيل الفكرة.

استخدم الكاتب التناص آلية من آليات الحجاج، واعتمد بشكل كبير جدًا على التناص القرآني، فيقول:" **لو تعدد الآلهة لاختلفوا، ولذهب كل إله بما خلق، ولفسدت الأرض**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١١) في إشارة إلى قوله تعالى:﴿**مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[المؤمنون:٩١] ، كما يقول في سياق آخر: "**إنما الإله الجدير بالألوهية هنا هو الإله الذي أحاط بكل شيء علمًا.. لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١٣) وهو أيضًا تناص قرآني لقول الله تعالى:﴿**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْمًا**﴾[الطلاق:١٣] وقوله تعالى:﴿**عَالِمُ**

الغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فَي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِيْنٍ﴾[سبأ:٣]، كما يستخدم الكاتب التناص الشعبي من خلال قصص السحر والشعوذة فيستخدم مصطلح: (جلا جلا) نوعًا من الاحتجاج فيقول لصديقه: "**دعني أصحح معلوماتك أولاً فأقول لك: إن الله لم يخلق آدم على طريقة جلا جلا**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١٢٢)، كما يستخدم التناص الشعري، فيقول: "**هل تصلح أحضان امرأة لتكون مستقر سعادة، والقلوب تتقلب والهوى لا يستقر على حال والغواني يغرهن الثناء**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١٥٣)، وهو تناص مع قول أحمد شوقي(من الخفيف):

خَـــدَعُوهَا بِقَـــوْلِهِمْ حَسْـــنَاءُ وَالغَـــوَانِي يَغُـــرُّهُنَّ الثَّنَـــاءُ

(الروابط والعوامل الحجاجية)

إن الروابط والعوامل الحجاجية من المؤشرات البارزة والدلائل القاطعة على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها، وهي كثيرة في اللغة العربية، شأنها في ذلك شأن جميع اللغات الأخرى، مثل: (بل، ولكن، إذن، لاسيما، حتى، لأن، بما أن، إذ، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي، وغيرها) (العزاوي أ.، ٢٠٠٦، صفحة ٥٥)، ويعد الربط بواسطة أدوات الاستئناف، من أهم طرق الربط بين القضايا، فهي تبني النتيجة على السبب، أو تحدث هرمية في شأن القيم، وهذه الأدوات تعد من التقنيات التي تتيح للمتكلم القدرة على جذب انتباه السامعين إلى حيث يريد. (صولة، ٢٠١١، صفحة ٣٨)

إن للروابط الحجاجية وظيفة دلالية ومنطقية تسعى إلى توجيه العمل وترتيب قضاياه، كما تسهم في تقسيم أطراف الكلام بين مقول منطوق ومقتضى مسكوت عنه، وبينهما فضاء يستلزم نتيجة ليست اعتباطية بين الطرفين، وإنما هي عدد من القيم التي يمكن أن تشكل نوعًا من الربط الذي يظهر من خلال الروابط الحجاجية التي تفضي إلى ذلك، كما أن (ديكرو) يرى أن الروابط لا تقتصر وظيفتها على الأغراض اللغوية، ولكنها تمتد لتشمل الأغراض الاستدلالية الحجاجية إضافة إلى وظيفتها الرابطة. (كروم، ٢٠٠٤، صفحة ٢٣٣)

وعلى الرغم من إدراج كثير من الباحثين الروابط ضمن العوامل الحجاجية باعتبارها توفر للملفوظ بعده الحجاجي، إلا أن بعض الدراسات التداولية تميز بين العوامل الحجاجية التي تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية لقول ما، كما تقوم بتغيير قوة الجملة دون محتواها الخبري، مثل أدوات القصر: (ما ...إلا)، و(إن...إلا)، وأدوات من قبيل: (ربما، تقريبًا، كاد، قليلاً، كثيرًا)، وبين ما تسميه روابط حجاجية، فقد اختصت الرابط بالربط بين القضيتين البسيطتين لتصبحا قضية كبرى، فالرابط هو الأداة التي تقوم بالربط بين متغيرات حجاجية أو بين قولين، أي بين حجة ونتيجة أو مجموعة من الحجج، كما أنها تسند لكل قول دورًا محددًا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة. (العزاوي أ.، ٢٠٠٦، صفحة ٢٥، وما بعدها)' و(الناجح، ٢٠١١، صفحة ٢١)

ومن المهم معرفة أن الروابط والعوامل الحجاجية ليست هي الوحيدة الضامنة لسلامة العملية الحجاجية، والربط بين الحجة والنتيجة، بل لابد من

وجود عدد من المبادئ التي تدعم سلامة هذه العملية الحجاجية، وهي ما يقابل مسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري، هذه المبادئ تعد بمثابة القواعد العامة، ومن خصائصها:

- أنها مجموعة من الأفكار والمعتقدات المشتركة بين الجماعة اللغوية الواحدة، فالكل مثلاً يتفق على أن (العمل يؤدي إلى النجاح).
- أن تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة، لذلك فهي عمومية.
- أنها تقيم علاقة متدرجة بين سلمين حجاجيين أو بين محمولين تدرجيين.
- أنها نسبية؛ لأنه يمكن إبطال مبدأ ورفض تطبيقه في سياق في حين يمكن أن يكون مقبولاً ويمكن تطبيقه في سياق آخر، فالعمل مثلاً قد يكون في وقت من الأوقات إهدارًا للطاقة ويؤدي إلى الفشل لا إلى النجاح. (العزاوي أ.، ٢٠٠٦، صفحة ٣١)

١- الروابط الحجاجية:

أولاً: روابط التعارض الحجاجي:

- (لكن)

من روابط التعارض الحجاجي (لكن)، لأنها تربط بين كلاميين متعارضين في المعنى إن سلبًا أو إيجابًا، فيكون الثاني فيها على خلاف معنى الأول، يقول ابن يعيش: "ومعناها الاستدراك كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك فتداركت بخبره إن سلبًا أو إيجابًا، ولابد أن يكون خبر الثاني

مخالفًا لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك، ولذلك لا تقع إلا بين كلامين متغايرين في النفي والإيجاب" (يعيش(ت:٦٤٣هـ)، د.ت، صفحة ٨/٨٠)، وإن المتكلم حين يستخدم (لكن) في كلامه فإن هذا يستلزم أمرين (العزاوي أ.، ٢٠٠٦، صفحة ٥٨):

الأول: أنه يقدم حجتين الأولى منهما موجهة نحو نتيجة معينة، والثانية موجهة نحو نتيجة مضادة للأولى.

الثاني: أنه يقدم الحجة الثانية باعتبارها الأقوى، وباعتبارها توجه الخطاب بكامله.

ومن الأمثلة، ما جاء ردًا من الكاتب على دعوى صديقه الذي يدعي أن الإنسان مجبر في جميع أفعاله بدليل علم الله المسبق لهذه الأفعال، ومن ثم يجب ألا يحاسب عليها، فيقول الكاتب: "**أفعالك معلومة عند الله في كتابه، ولكنها ليست مقدورة عليك بالإكراه**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١٥) وبالنظر في المثال نجد أن الرابط (لكن) يفرض بعض التأثيرات المعنوية التي توجه طريقة تأويل المحتويين الخبريين: (أفعالك معلومة عند الله في كتابه)، و(ليست مقدورة عليك بالإكراه)، والاستدراك بـ(لكن) يوجه دلالة الملفوظ كله لسلب نتيجة الجملة المستدركة، فالمحتوى الخبري الأول كلام موجب: (أفعالك معلومة عند الله في كتابه) وهو حجة تتوجه نحو نتيجة (ن) من نمط (الله خلق أعمالك قبل خلقك، فأنت مجبر على فعلها)، والجزء الثاني كلام منفي: (ليست مقدورة عليك بالإكراه) وهو حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة الأولى (لا- ن) من نمط (أنت

حر في اختيار أفعالك، وعلم الله المسبق لهذه الأفعال ناتج من كونه العالم بنيات وأفعال خلقه قبل خلقهم)، والغاية التي أراد الكاتب توضيحها تكمن في الحجة الثانية التي جاءت بعد (لكن) فهي إذن تعد الأقوى مقارنة بالحجة الأولى، وهي أيضًا الحجة التي تغير وجهة المتلقي نحو النتيجة المضادة (لا– ن).

ومما سبق نجد أن الكلام يتكون من مكونين: مكون لغوي، ومكون بلاغي، فالأول هو ما يدل عليه القول لغويًا، أما الثاني فما يقع فيه ربط دلالة القول بسياقه حيث تعتبر المعطيات المقامية أداة للوصول إلى قيم دلالية ثابتة للمتغيرات التي ضبطتها قواعد اللغة.

- **(بل)**

من روابط التعارض الحجاجي التي استخدمها الكاتب (بل) وهي من الأدوات التي يكون المعطوف بها مخالفًا للمعطوف عليه، فهي تستخدم للإضراب عما قبلها منفيًا أو موجبًا، وإثبات الحكم لما بعدها، كقولك (جائني بكر بل خالد)، و(ما جائني بكر بل خالد)، كأنك أردت الإخبار عن خالد فغلطت وسبق لسانك وذكرت (بكرًا) فأتيت بـ(بل) لتنفي المجيء عن (بكر) وتضرب عنه وتثبته لـ(خالد)، والإضراب في (بل) له معنيان: أولهما: إبطال حكم ما قبلها وإثباته لما بعدها، إما لغلط أو نسيان وهو كما في المثال السابق. وثانيهما: الإضراب لانتهاء مدة ذلك الحكم والانتقال إلى غيره، ومثاله قول الله تعالى:﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ*فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ*بَلِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيْبٍ**﴾**[البروج:١٩]**. (يعيش(ت:٦٤٣هـ)، د.ت، صفحة ١٠٤/٨) وتستخدم (بل) في أكثر من

استعمال حجاجي، فتستخدم للتعارض الحجاجي، عندما تكون مرادفة لمعنى (لكن) الحجاجية، أي عندما تربط بين حجتين تخدمان نتيجتين متضادتين، وتأتي الحجة الأولى قبلها وتوجه الكلام نحو نتيجة ضمنية (ن)، والثانية تأتي بعدها وتوجه الكلام نحو نتيجة (لا–ن)، وتكون الحجة الواقعة بعدها هي الحجة الأقوى، والنتيجة المضادة هي النتيجة المعتمدة، والذي يهم في عملية الحجاج أن يكون ما بعد (بل) جملة وليس مفردًا لتعبر عن الإضراب الانتقالي، وهو ما يكون على جهة الترك للانتقال من غرض إلى غرض آخر من غير إبطال. (العزاوي أ.، ٢٠٠٦، صفحة ٦١)

ومن الأمثلة التي وظف فيها الكاتب الرابط الحجاجي التعارضي (بل) ما جاء في رده على صديقه الذي لا يرى قيمة للصلاة ويستنكر الحركات والقيام والقعود فيها، ويتساءل ألا يكفي الخشوع القلبي فقط؟، فيقول له: "**لماذا خلق لك الجسد أصلا ؟... لماذا لا تكتفي بالكرم الشفوي فتجود باليد والمال، بل خلق الله لك الجسد ليفضح قلبك.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١٥٢)

بالنظر في المثال نجد أن الرابطة (بل) من النمط الحجاجي؛ لأنها تقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين: علاقة بين الحجة: (الاكتفاء بالكرم الشفوي)، التي تشير إلى نتيجة ضمنية مفادها (كل الناس كرماء)، وبين الحجة الثانية التي تأتي بعد (بل)، وهي:(خلق الله الجسد ليفضح القلوب)، وتسير في اتجاه نتيجة ضمنية مضادة من قبيل: (المؤمنون بالله فقط هم الكرماء)، وهكذا جاءت الحجة الثانية في مرتبة أعلى من حيث القوة،

فأشارت إلى نتيجة هي الأقوى أيضًا، وهي النتيجة التي يروم الكاتب توجيه المتلقين إليها.

ثانيًا: روابط التساوق الحجاجي:

- **(حتى)**

من الروابط التي تربط بين حجج لها نفس التوجه الحجاجي، بمعنى أنها يجب أن تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية وتخدم نتيجة واحدة، وفي الغالب يكون ما بعدها من حجج هو الأقوى مما قبلها؛ لأن ما بعدها غاية لما قبلها، يقول ابن يعيش: "اعلم أن حتى من عوامل الأسماء الخافضة...ومعناها منتهى ابتداء الغاية بمنزلة (إلى)...إلا أن حتى تُدْخِلُ الثاني فيما دخل فيه الأول من المعنى، ويكون ما بعدها جزءًا مما قبلها...وإنما وجب أن يكون ما بعدها جزءًا مما قبلها من قِبَل أن معناها، أن تستعمل لاختصاص ما تقع عليه إما لرفعته أو دناءته" (يعيش(ت:٦٤٣هـ)، د.ت، صفحة ١٥/٨)، ومن علامات (حتى) الحجاجية أنها تكون عاطفة في الغالب، وللمعطوف بها شرطان: الأول: أن يكون بعض ما قبلها. والثاني: أن يكون غاية لما قبلها في زيادة أو نقص، كما قد تكون(حتى) الحجاجية جارة بشرط أن يكون ما بعدها داخلاً فيما قبلها. (العزاوي أ.، ٢٠٠٦، صفحة ٧٢)، كما أن هناك استعمالات حجاجية أخرى لـ(حتى)، منها استعمالها أداة للتعليل كقولك لغيرك: (أسلم حتى تدخل الجنة)، ففي هذا المثال (حتى) تدل على التعليل، أي أن ما قبلها علة لما بعدها،

(الإسلام سبب لدخول الجنة)، وهي مرادفة لـ(كي) التعليلية. (العزاوي أ.، ٢٠٠٦، صفحة ٧٤)

ومن الأمثلة التي استخدم فيها الكاتب (حتى) للتساوق الحجاجي قوله: "**والله يوحي إلى كل شيء حتى النحل**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٣٠)

يشتمل المثال السابق على دليلين يخدمان نتيجة معينة من نمط : (الله لم يحرم أحدًا من رحمته ووحيه وكلماته وآياته)، إلى غير ذلك من النتائج المحتملة والممكنة، وهذه الأدلة هي:(الله يوحي إلى كل شيء)، و(الله يوحي إلى النحل)، ولكن الدليل الأقوى الذي يقدمه الكاتب هو ما بعد (حتى)، وذلك لتوجيه المتلقي نحو هذه النتائج المحتملة من هذه الحجج.

- **(بل)**

تستخدم الرابطة الحجاجية (بل) كما ذكر سابقًا في أكثر من استعمال حجاجي، فتستخدم للتعارض عندما تكون مرادفة لـ(لكن) الحجاجية، كما يمكن أن تستخدم (للتساوق)، عندما تكون مرادفة لـ(حتى)، بمعنى أنها تربط بين حجتين أو مجموعة من الحجج المتساوقة التي تخدم نتيجة واحدة، إلا أن الحجج التي تكون بعدها أقوى من الحجج التي ترد قبلها، وهناك من المميزات التي تميز بين (بل) الحجاجية المرادفة لـ(حتى)، و(بل) الحجاجية المرادفة لـ(لكن)، وهذه السمة المميزة هي (الواو)، وتعد هذه السمة البنيوية أداة تمكننا من التمييز بين (بل) التي تربط بين الحجج المتساوقة، وبين الأخرى المعبرة عن التعارض الحجاجي،

فالأولى تقبل مجيء (الواو) بعدها، في مقابل الثانية التي لا تقبل ذلك. (العزاوي أ.، ٢٠٠٦، صفحة ٦٨).

استخدم الكاتب هذه الرابطة الحجاجية في محاججته لصديقه الملحد فيقول: "**ونحن نشعر في كل لحظة أننا نختار ونوازن بين احتمالات متعددة. بل إن وظيفة عقلنا الأولى هي الترجيح والاختيار بين البديلات.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١٦)، في المثال السابق استخدم الكاتب (بل) أداة للتساوق بين حجتين تخدمان نتيجة مضمرة من قبيل: (الإنسان العاقل حر في اختياراته)، إلا أن الحجة الواردة بعد (بل) وهي: (إن وظيفة عقلنا الأولى هي الترجيح والاختيار بين البديلات) هي الأقوى.

- **(بالإضافة إلى ذلك)**

يقول الكاتب: "**أما لماذا لا نقول إن القرآن من تأليف محمد عليه الصلاة والسلام.. فلأن القرآن بشكله وعباراته وحروفه وما احتوى عليه من علوم ومعارف وأسرار وجمال بلاغي ودقة لغوية، هو مما لا يدخل في قدرة بشر أن يؤلفه.. فإذا أضفنا إلى ذلك أن محمدًا عليه الصلاة والسلام كان أميًا لا يقرأ، ولا يكتب، ولم يتعلم في مدرسة، ولم يختلط بحضارة، ولم يبرح شبه الجزيرة العربية، فإن احتمال الشك واحتمال إلقاء هذا السؤال يعد مستحيلاً.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٨٧)

في المثال السابق استخدم الكاتب (فإذا أضفنا إلى ذلك) أداة للتساوق بين حجتين تخدمان نتيجة وهي: (القرآن كلام الله وليس كلام محمد صلى الله عليه

وسلم)، والحجة الأولى هي: (القرآن بشكله وعباراته وحروفه وما احتوى عليه من علوم ومعارف وأسرار وجمال بلاغي ودقة لغوية، هو مما لا يدخل في قدرة بشر أن يؤلفه)، وهي الحجة التي تلت أداة التعليل (لأن)، والحجة الثانية هي: (محمد عليه الصلاة والسلام كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يتعلم في مدرسة، ولم يختلط بحضارة، ولم يبرح شبه الجزيرة العربية)، وهي الحجة الأقوى التي تؤثر على المتلقي وتجعله يقبل النتيجة التي يحاول الكاتب الوصول إليها، أو على الأقل تجعله لا يرفضها.

ثالثًا: روابط التعليل:

- **(لأن)**

وهي من أنواع الروابط الحجاجية التي وظفها الكاتب في حواره توظيفًا حجاجيًا، ومن أمثلة ذلك ما جاء في سياق رده على صديقه الملحد، الذي يستنكر وجود إله واحد، ويتساءل لماذا لا يكون الآلهة متعددون؟ فيقول له: "**إن الخالق واحد؛ لأن الكون كله مبني من خامة واحدة وبخطة واحدة، فمن الأيدروجين تألفت العناصر الاثنان والتسعون التي في جدول مندليف بنفس الطريقة...كما أن الحياة كلها بنيت من مركبات الكربون على مقتضى خطة تشريحية واحدة، تشريح الضفدعة، والأرنب، و... يكشف عن خطة تشريحية واحدة...ثم الوحدة التشريحية للجميع هي الخلية...فأي غرابة بعد هذا أن نقول إن الخالق واحد؟!.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١٠)

في المثال السابق يوظف الكاتب الأداة (لأن) للربط وتعليل النتيجة التي جاءت في بداية الكلام بعدد من الحجج المتوالية المترابطة من خلال أدوات الربط المختلفة مثل: (كما أن) و(ثم). **النتيجة:** الله واحد. **الرابط:** لأن. **الحجة(١):** الكون كله مبني من خامة واحدة وبخطة واحدة. **الحجة (٢):** الحياة كلها بنيت من مركبات الكربون على مقتضى خطة تشريحية واحدة. **الحجة (٣):** الوحدة التشريحية للجميع هي الخلية.

- **(إذن)**

تعد (إذن) أداة من أدوات الاستنتاج الاحتمالي التي استخدمها الكاتب للحصول على نتيجة معينة من خلال تقديم بعض الحجج، ومن أمثلة ذلك قوله: "**إن الإنسان كما يقول الصوفية هو الكتاب الجامع والكون صفحاته، إذن فالإنسان عظيم الشأن كبير الخطر.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٣٧)

في هذا المثال يظهر أن القول: (إن الإنسان هو الكتاب الجامع والكون صفحاته)، الذي يسبق الرابط (إذن)، قُدِّم بوصفه حجة، بينما القول: (فالإنسان عظيم الشأن كبير الخطر)، الذي يتلو الرابط يعد بمثابة نتيجة، والدليل على وجود الطبيعة الحجاجية في هذه الجملة وجود (إذن).

- **(بالتالي)**

يقول الكاتب: "**ثم نقرأ إشارة أخرى صريحة عن أن الجبال تسبح في الفضاء، وبالتالي فالأرض كلها تسبح بجبالها، حيث هي والجبال كتلة واحدة.**

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾**[النمل:٨٨]**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١٠٤)

في المثال السابق ربط الكاتب عن طريق الرابطة (بالتالي) بين حجة وهي قوله: (الجبال تسبح في الفضاء)، ونتيجة وهي: (فالأرض كلها تسبح بجبالها، حيث هي والجبال كتلة واحدة)، فالكاتب يقدم حجة ثابتة ثبوتًا علميًا، ليمهد بها للوصول إلى نتيجة مترتبة على ذلك، مستشهدًا بآية قرآنية ليؤكد إشارة القرآن إلى تلك الكشوفات العلمية الحديثة، في إشارة إلى أن القرآن الكريم هو كلام الله العليم، وليس كلام البشر.

- **(لام التعليل)**

لام التعليل من الروابط التعليلية، وهي من الحروف التي تدخل على الفعل المضارع فتنصبه بإضمار (أن)، نحو قولك: (قصدتك لتكرمني) أي (لأن تكرمني)، وهي بمعنى (لأجل كذا)، وما بعدها في الأغلب علة وسبب لما قبلها في الكلام المثبت، ويكون ما بعدها نتيجة مترتبة على ما قبلها. (يعيش(ت:٦٤٣هـ)، د.ت، صفحة ١٤/٩)

ومن الأمثلة التي أورد فيها الكاتب (لام التعليل) للربط بين الحجة والنتيجة، قوله: "**إن الآخرة ستكون أيضًا درجات أكثر تفاوتًا، لتصحح ما لم يجر تصحيحه في الأرض.**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٤٨)

النتيجة: تصحيح ما لم يجر تصحيحه في الأرض. **الرابط:** اللام. **الحجة:** تفاوت الدرجات في الآخرة.

- **(الفاء)**

يقول الكاتب: "**لا خوف من الخطأ، فالإسلام يكافئ الذي يجتهد ويخطئ بأجر، والذي يجتهد ويصيب بأجرين**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٥٣)

في المثال السابق نجد أن الحجج مذكورة بعد (الفاء)، والتي تعبر عن أن ما بعدها حجة وما قبلها نتيجة، و(الواو) العاطفة استعملت أيضًا رابطًا حجاجيًا بين جملة: (الإسلام يكافئ الذي يجتهد ويخطئ بأجر) وبين جملة: (والذي يجتهد ويصيب بأجرين)، التي حذف منها (الإسلام يكافئ) استنادًا إلى وجود هذا التركيب في الجملة الأولى.

من خلال استعرض أدوات الربط التعليلية يتبن أن هناك نوعًا من الجدل بين السبب والنتيجة، وهو ما سماه (بيرلمان) بالحجة البراجماتية، وهي الحجة التي يحدث من خلالها تقويم عمل ما، باعتبار نتائجه الإيجابية أو السلبية، ومن هنا كان لها تأثيرها المباشر في توجيه السلوك؛ لذلك تعتبر الحجة البراجماتية من أهم وسائل الحجاج، ودورها لا يقتصر على تثمين حدث ما بذكر نتائجه فقط، بل وتوجيه العمل أيضًا. (صولة، ٢٠١١، صفحة ٥٠)

وبشكل عام يمكن أن نصل إلى نتيجة مفادها أن الروابط مثل: (لكن، وحتى، وبل، وبالإضافة إلى ذلك، ولأن...)، وغيرها من الروابط التي لا يمكن وصفها بمعزل عن جملتها الواردة فيها، ولكن بوصفها رابطة بين طرفين(أ) و(ب)، وبوضعها في سياق جملتها أيضًا لن يكون من الصعب تحديد هذه الوحدات (أ)، و(ب) التي تربط بينها، فهذه الروابط وما تربط بينها من وحدات

أشبه بالمعادلة المنطقية التي تفصح بسهولة عن أطرافها التي تم الربط بينها بواسطة هذه الروابط دون أي اعتراض.

٢- العوامل الحجاجية:

هي عناصر لغوية تنتظمها غاية واحدة هي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل، وهي عند (ديكرو)، و(أنسكومبر) قسم من الوحدات الصرفية لها بُعْدٌ لساني، ولها وظيفة هي دفع المستمع إلى تحديد النتيجة، من خلال اكتشاف الخطة الخطابية التي يقوم عليها الملفوظ عند احتوائه على العامل الحجاجي. (الناجح، ٢٠١١، صفحة ٣٣)، ومن أهم وظائف العامل الحجاجي أنه يسد فجوة الاحتمالات لدى السامع، وينقله من احتمالية تعدد النتائج إلى وحدة النتيجة والمقصد، من خلال حصرها في نتيجة واحدة، كما يعد الرابط ضامنًا من ضمانات تسلسل الخطاب، وعنصرًا من عناصر تناسقه، كما يقوم بتقوية التوجيه نحو النتيجة. (الناجح، ٢٠١١، صفحة ٣٥)

ومن العوامل الحجاجية أسلوب القصر وهو من الأساليب التي تستعمل للتحتيم، وقد جاءت في الحوار لتحدث إحكامًا وتحديدًا لما يريد الكاتب أن يوجه إليه المتلقي الذي يستهدف محاصرته للاستجابة والاقتناع بما يقدم إليه، وقد وظف الكاتب أدوات القصر المختلفة في هذا الأمر، ومن هذه الأدوات:

- **(إنما)**

من وظائفه أنه يقصر الصفة على الموصوف؛ لذلك يعد من أبرز أدوات القصر في اللغة العربية، فهو يأتي إثباتًا لما ذكر بعده وينفي ما سواه

(الجرجاني(ت:٤٧١هـ)، صفحة ٣٢٨)، وقد وظف الكاتب هذه الأداة في العملية الحجاجية لتحديد ما يريد توصيله من معلومات في سياق رده على صديقه الذي يرى أن القضاء والقدر ما هو إلا نوع من أنواع الإجبار فيقول له:"...**والقضاء والقدر لا يصح أن يفهم أنه إكراه للناس على غير طبائعهم، وإنما على العكس، الله يقضي على كل إنسان من جنس نيته**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ١٩)

وظف الكاتب أداة القصر(إنما) في المثال السابق، لا ليقلص الإمكانيات الحجاجية للجملة في حكم واحد، وليعلم المتلقي بأن الله لا يقضي الله على الإنسان إلا من جنس نيته فقط، ولكن ليذكره بشيء ثابت معلوم من الأمور البديهية. يقول الجرجاني: "اعلم أن موضوع (إنما) تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزَّل هذه المنزلة" (الجرجاني(ت:٤٧١هـ)، صفحة ٣٣٠) ليبني الكاتب على ذلك استدعاء ما يوجبه هذا الملفوظ من ضرورة أن يعلم الإنسان أنه سيحاسب على كل صغيرة وكبيرة يقوم بها؛ لأنه حر مخير في أفعاله، وبهذا يوجه الكاتب الملفوظ إلى وجهة معينة، ويلغي ما سواها من وجهات قد يذهب إليها عقل المتلقي؛ ليحاصره ويجبره على الاقتناع برأيه.

- **(لا...إلا)**

وفي إطار رد الكاتب على دعوى صديقه التي يزعم فيها–وفقًا لمذهبه المادي– أن الإنسان رهين الحتميات وظروف المجتمع التي تعوق حريته الفردية

فيقول له: "...**فالحرية الفردية لا تؤكد ذاتها إلا في وجه مقاومة تزحزحها**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٢٣)

في المثال السابق دخلت أداة القصر التي اعتمدت على النفي والاستثناء(لا...إلا) على الجملة، وهي من العوامل الحجاجية التي تحدد إمكانيات الملفوظ وتوجهه إلى شيء بعينه، وهو ما أراده الكاتب في الجملة وحدده بدقة، وهو:(عدم تأكيد الذات إلا في وجه مقاومة تزحزحها)، مما أدى إلى تعديل القيمة الحجاجية للقول، أو الإمكانيات الحجاجية التي تتيحها الجملة، مقارنة بقولنا: (فالحرية الفردية تؤكد ذاتها في وجه مقاومة تزحزحها)، فبالمقارنة بين الجملتين يتبين أنه لم يحدث أي تغيير على المستوى الإعلامي والإخباري في الجملة السابقة، ولكن الذي تأثر هو الإمكانيات الحجاجية، وذلك لتعدد الاحتمالات والإمكانيات الحجاجية التي يمكن أن يستنتجها المتلقي، ولكن بدخول أداة القصر (لا...إلا) تحددت القيمة الحجاجية للجملة واقتصرت على ما بعد (إلا) من قول، وهو الذي يؤكد وجهة نظر الكاتب.

- **(ليس سوى)**

في رد الكاتب على صديقه الذي يهاجمه بسؤاله: كيف لإلهكم الرحيم أن يخلق الشر والألم والمرض ولماذا ترك الظالم يظلم والسارق يسرق والقاتل يقتل؟، يقول: "**ثم إن الدنيا كلها ليست سوى فصل واحد من رواية سوف تتعدد فصولها فالموت ليس نهاية القصة ولكن بدايتها**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٢٧)، فيوظف الكاتب أداة القصر (ليست سوى) التي تكونت من النفي

والاستثناء، لينفي بشكل قاطع أن الدنيا هي نهاية المطاف كما يزعم الماديون، ويؤكد من خلال تحديد الملفوظ، بأنها بداية الأمر وليست نهايته، وبالتالي فإن من ظُلِم وقُتِل وسُرِق ولم يستطع أن يأخذ حقه في الدنيا، فإن الله سيقتص له في الآخرة، وهكذا ساعد القصر في تقليص احتمالات الجملة.

- **(لن...إلا)**

يستخدم الكاتب أسلوب القصر بـ(لن...إلا) في سياق تهكمه وسخريته من هذا الملحد، الذي لا يريد في الحياة حزنًا ولا مرضًا ولا ألمًا ولا موتًا، فيوجه خطابه للمتلقي قائلاً: "**معنى هذا أن صاحبنا لن يرضيه إلا أن يكون هو الله ذاته وهو التطاول بعينه**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٢٧)

فيوظف القصر توظيفًا يحدد من خلاله رغبة هذا الملحد بشكل حاسم لا يقبل التعدد أو الاحتمالية، وهي أن يكون إلهًا، الأمر الذي يثير حنق المتلقي على هذا الملحد، وبالتالي يرفض أفكاره الإلحادية، وهو ما يريد الكاتب الوصول إليه.

- **(ما...إلا)**

وظف الكاتب (ما...إلا) في عمليته الحجاجية، وهي من الأدوات التي تستخدم للأمر الذي ينكره المخاطب ويشك فيه (الجرجاني(ت:٤٧١هـ)، صفحة ٣٣٢)، وذلك في سياق رده على صديقه الملحد الذي يسأل مستنكرًا ما مصير الإنسان الذي لم يصله القرآن؟ فيبن الكاتب له أن الله لم يحرم أحدًا من وحيه

ورحمته وكلماته، فما من أمة إلا خلا فيها نذير، فيقول: "**ما من أحد يُرْهِفُ قلبه ويُرْهِفُ سمعه إلا ويتلقى من الله فضلاً**" (محمود، ١٩٨٦، صفحة ٣٠)

ولما كان الأمر من الأمور غير المتفق عليها استخدم الكاتب في حجاجه (ما...إلا)، ليؤكد من خلال النفي والاستثناء حجته بأن كل إنسان يرهف قلبه وسمعه سيحظى بلا شك من فضل الله.

وهكذا يكون استخدام الكاتب للعوامل الحجاجية في حواره من باب اختيار الأنفع في إقامة الحجة، فهو أفضل من تلفظه بجمل عارية من تلك العوامل، وذلك لما تضمنته تلك العوامل الحجاجية من وصول للنتيجة، فكما يرى (بيرلمان) أن اختيار المتكلم ألفاظه للتعبير عن أفكاره يكون من منطلق الرغبة في الحجاج والإقناع، لاسيما إذا كان اللفظ الذي وقع الاختيار عليه فيه عدول عن الكلام العادي، والذي يؤدي اختياره إلى التنبيه على المقصد الحجاجي للمتكلم. (صولة، ٢٠١١، صفحة ٧٩)

الخاتمة والنتائج

لقد وضعت اللسانيات الحجاجية عددًا من المصطلحات ذات المفاهيم التي أحدثت نوعًا من التمييز بينها وبين غيرها من النظريات اللسانية، كالتداولية مثلاً، كمفهوم (الرابط)، و(العامل)، و(الموضع)، و(السلم الحجاجي)، وغيرها من المفاهيم التي وردت في سياق البحث، فأصبحت تيارًا تداوليًا متميزًا، وذلك برفضها الفصل بين الدلالة وموضوعها معنى الجملة، وبين التداولية وموضوعها استعمال الجملة مقاميًا، ليكون موضوع بحثها الدلالة التداولية أو(التداولية المدمجة)، لتثبت أن الحجاج فعالية لغوية والعكس صحيح، وأن الكلام لابد أن يتضمن عناصر تثبت أن اللغة حجاج.

ومن خلال البحث أمكننا التحقق من الآتي:

- بنى الكاتب حججه بناءً محكمًا تجلت فيه آليات الحجاج اللغوي والبلاغي وفق ما جاء عند المنظرين لهذين النوعين من أنواع الحجاج.
- اعتمد الكاتب بشكل كبير على الحجاج الجدلي الذي اعتمد على العقل، والتركيز على أنواع دون غيرها كحجاج السلطة، خصوصًا سلطة الكتب المقدسة، والآراء العلمية، والتي تنطوي على قوى إقناعية من خلال قوة الملفوظ الذي يكون ناتجًا عن شكل من أشكال السلطة المختلفة.
- وظف الكاتب حجاج الاستعارة في العملية الإقناعية؛ التي تشجع المتلقي على الاستمرار في اكتشاف جوانب الاستعارة المقترحة.

- استطاع الكاتب من خلال حجاج الشرط، إثارة تفكير المتلقي، ليصل من خلال مفهوم الشرط، إلى النتيجة التي يريده الوصول إليها.
- استثمر الكاتب حجاج الوصف الذي يقوم بتوضيح وجهة نظره من الموضوع؛ لأنه من خلال الوصف يعاد تأطير الموصوف، ومن ثم وضعه مع المشاركين له في هذه الصفة.
- اعتمد الكاتب حجاج التكرار الذي يقوم على العرض اللغوي للدعاوى الحجاجية وتكرارها والإلحاح عليها، وصياغتها صياغة موازية وإلباسها إيقاعات نغمية لها قدرتها التأثيرية في إقناع المتلقي.
- وظف الكاتب حجاج الاستفهام في إثارة عقل المتلقي وفكره، للبحث عن الإجابات المقنعة.
- حجاج النفي هو إكذاب لشيء موجب، والإكذاب توجيه للملفوظ والمستمع نحو نتيجة يجب التصديق بها، لذلك استثمر الكاتب هذا النوع الذي يعد من أهم التقنيات الحجاجية التي تحدد منزلة الملفوظ في السلم الحجاجي.
- وظف الكاتب حجاج التعريف لإعادة تأطير بعض المفاهيم التي قد تكون معتادة لدى المتلقي، فيستدعيه إلى عالم لم يسبق له أن فكر فيه من خلال استدلالاته المعتادة، وهو ما يدفعه إلى الاقتناع.
- يعد الحجاج بواسطة التمثيل –على الرغم من ظنية نتائجه– من التقنيات المهمة التي استخدمها الكاتب في الحجاج لإقناع المتلقي، فهو يعتبر آلية خصبة لإنتاج وابتكار الأفكار عند المتلقي عن طريق المقارنة والقياس.

- اكتسب حجاج التناص قوته الإقناعية من خلال تضمنه لأفكار نصوص أخرى لها شهرتها وإبداعها، مما ساعد في إقناع المتلقي وتوصيل الفكرة.
- حجاجية الوجوه البلاغية بشكل عام في مقابل وظيفتها التحسينية للكلام، خصوصًا عندما تعتمد في سياقات تواصلية يرمي من خلالها الكاتب إلى إقناع المخاطبين وتغيير سلوكهم. كما أن الحجاج بالوجوه البلاغية يسهم على نحو واضح في عملية الإقناع من خلال القياس والإغراء والإضاءات الجذابة والتلاعب بالقيم، مما يجعل المتلقي يتعود على رؤية الأشياء كما أراد الكاتب أن يظهرها له.
- وعي الكاتب بأهمية الروابط والعوامل كأدوات تركيبية تحدد تمفصلات الخطاب وبنيته الاستدلالية الحجاجية، لذلك وظفها بشكل واضح في توصيل الفكرة وإقناع المتلقي، مما يدل على أن اللغة تحمل وظيفة حجاجية بصفة جوهرية وذاتية.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع (العربية)

١- ابن الأثير، ضياء الدين(ت:٦٣٧هـ).(١٩٣٩).**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**،(تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد). مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده.

٢- أعراب، حبيب. (٢٠٠١). الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري). **مجلة عالم الفكر**، مجلد (٥٠) عدد (١).

٣- البهلول، عبد الله.(٢٠١٣). **الحجاج الجدلي، خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي**، ط١. صفاقس-تونس: مطبعة دار نهى للطباعة.

٤- الجرجاني، عبد القاهر(ت: ٤٧١هـ). (د.ت) **دلائل الإعجاز**.(تعليق: محمود محمد شاكر). القاهرة: مكتبة الخانجي.

٥- الحباشة، صابر.(٢٠٠٨). **التداولية والحجاج مداخل ونصوص**. سوريا-دمشق: صفحات للدراسات والنشر.

٦- حمداوي، جميل. (د.ت). **نظريات الحجاج**.

٧- الدهري، أمنية. (٢٠١١). **الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة** ط١، الدار البيضاء-المغرب: شركة النشر والتوزيع المدارس.

٨- رشيد، الراضي.(٢٠٠٥). الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو. **مجلة عالم الفكر**، مجلد(٣٤) عدد(١).

٩- زيدان، عبد الكريم. (١٩٧٦). **الوجيز في أصول الفقه**،ط٦. مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠-صولة، عبد الله. (٢٠١١). **في نظرية الحجاج (دراسات وتطبيقات)**،ط١. تونس: مسكيلياني للنشر.

١١-العزاوي، أبو بكر.(٢٠١٧). الحجاج في اللغة والبلاغة (ديكرو وبيرلمان أنموذجًا). **مجلة فصول**، المجلد (١/٢٦)، العدد(١٠١).

١٢-العزاوي، أبوبكر.(٢٠٠٦). **اللغة والحجاج**، ط١. الدار البيضاء-المغرب: العمدة في الطبع.

١٣-كروم، أحمد. (٢٠٠٤). مقاربة نظرية في مظاهر الارتباط الحجاجي لبنية الاقتضاء. **مجلة عالم الفكر**، مجلد (٣٢) عدد(٣).

١٤-محمود، مصطفى. (١٩٨٦). **حوار مع صديقي الملحد**. بيروت-لبنان: دار العودة.

١٥-الناجح، عز الدين.(٢٠١١) **العوامل الحجاجية في اللغة العربية**، ط١. صفاقس، تونس: مكتبة علاء الدين.

١٦-ابن يعيش، موفق الدين يعيش(ت:٦٤٣هـ). (د.ت). **شرح المفصل**، مصر: إدارة الطباعة المنيرية.

المصادر والمراجع (المترجمة)

١- أوزوالد، ستيف وريهس آلان. (٢٠١٧) المزايا البلاغية والمعرفية للاستعارات الممتدة. (ترجمة معتز سلامة)، **مجلة فصول**، مجلد (١/٢٦)، عدد(١٠١).

٢- بروطون، فليب.(٢٠١٣) **الحجاج في التواصل**، ط١ (ترجمة: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي العلمي) القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

٣- بونوم، مار. (٢٠١٧). من حجاجية الوجوه البلاغية. (ترجمة: محمد البقالي) **مجلة فصول**، مجلد (١/٢٦)، عدد(١٠١).

Abstract

The research aims to study the techniques of the Argument linguistic and rhetorical in the book (Dialogue with my atheist friend) by Dr. Mustafa Mahmoud, this book discusses a number of doctrinal and philosophical issues such as the existence of God, the freedom of man to choose, and other controversial topics. And the real motivator of dealing with those issues is that there is doubt about their validity in some people's minds. One of the main functions of the deliberative language text is the argument that it represents a number of interactive rhetorical techniques through which the speaker tries to win and convince the listener of what is being offered, wherever there is a speech, there is a particular strategy by which the speaker is intended linguistically and mentally, either to convince himself, or to convince others. To achieve the objectives of the research, the focus was on the mechanisms of the argument linguistic and rhetorical, such as the argument of metaphor, questioning, condition and exile, description, repetition, argument by definition, argument of power, argument of representation, argument, and the argument textual links and factors used by the writer to reach the publicity of his atheist friend and convince the recipients.